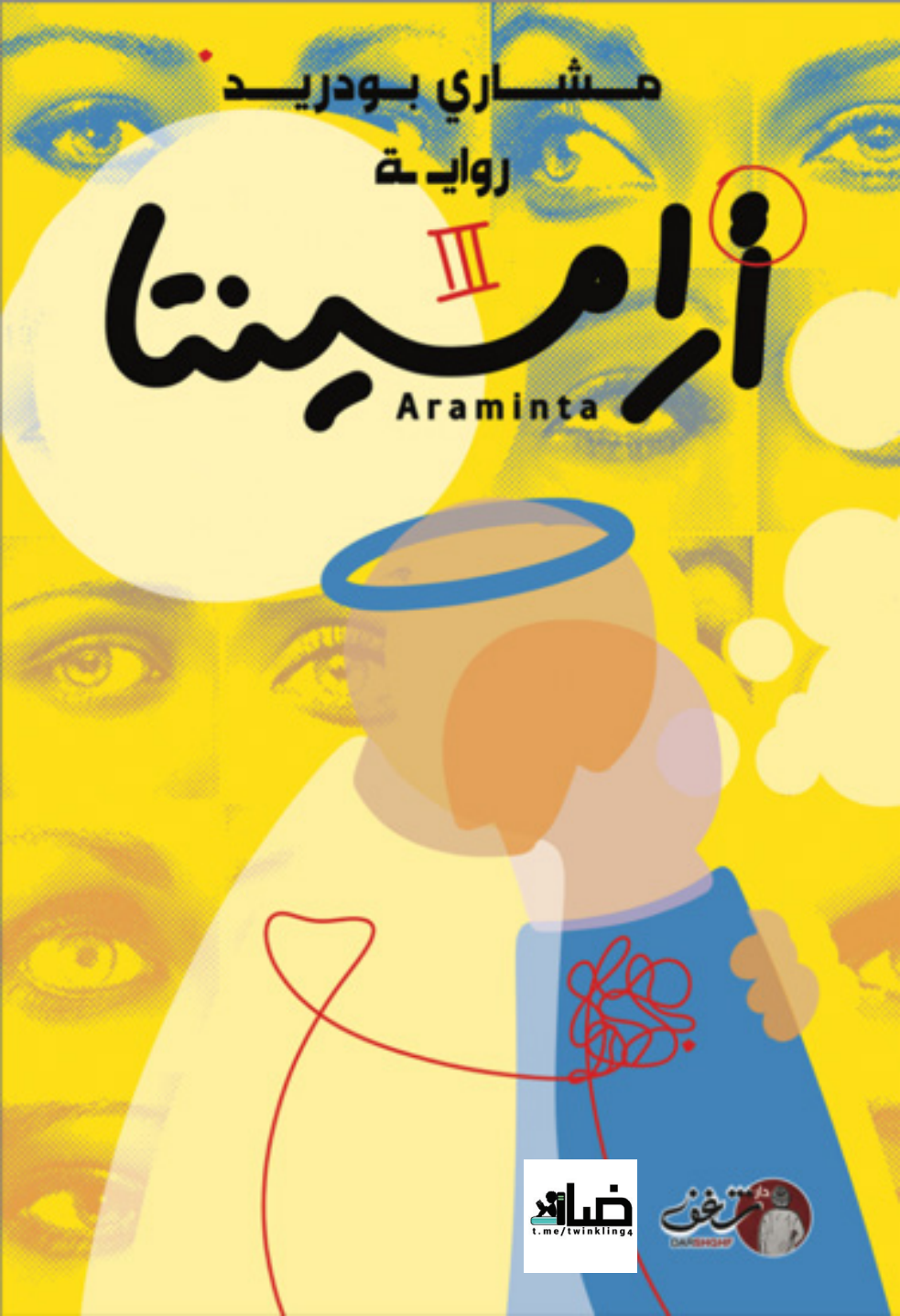

مشاري بودريد
رواية
أرامينتا
Araminta
t.me/twinkling4
DAR SHGHF

رواية

أرمينتا

رواية

أرامينتا

مشاري علي بودريد

دار شغف

DARSHGHF

■ الكتاب: أرامينتا
■ المؤلف: مشاري علي بودريد
■ دار شغف - الكويت
■ الردمك: ISBN 978- 9921- 791- 69- 3
■ الناشر: دار شغف
■ تصميم الغلاف: أحمد السعدي
■ اشراف عام: مشعل حمد

للتواصل مع دار شغف للنشر والتوزيع

DARSHGHF

DarShghf
DarShghf
info@DarShghf.com
Kuwait - Dasman
00965 - 50011077
00965 - 50004030
www.darshghf.com

الإهداء

إلى من فقد الشغف في الحياة، ويخاف أن تخونه الأيام بعد أن أثقلته فيما مضى، سُيعطيك اللّٰه أكثر مما طلبت ومما تُريد، وستعود للحياة بالقلب الذي لا يعرف إلا الطمأنينة..

أرامينتا أعمق من أن توضع لها مقدمة

"أنا كاتبك المفضّل، بعد أن تقرأ أرامينتا"

لنُبحر معًا

- لماذا تُريدين مني أن أسمّيها «أراميننا» وهو أسمٌ يوناني وليس له شأن في مجتمعنا!

أطالت النظر إليه، وهي تحدّه بضيق عيونها، فأخذت عباءتها ووضعتها على رأسها، ثم جلست بجانبه وقالت:

- بُني، هذا ما رأيته في المنام.

قال:

- من قال لكِ في المنام أن أسمّيها أراميننا؟

أخذت نفسًا كاملًا وأسكنته صدرها المُتعب، ثم قالت:

- لا أعلم، وأخبرتك بذلك كثيرًا، لكنني اليوم أريد أن آخذ منك الموافقة على التسمية لأن زوجتك «مريم» على وشك الولادة.

تربع «فهد» في جلوسه ولبث يفكر ثانية لكنه انقطع بتفكيره قائلًا:

- لكن يا أمي، مريم تريد أن نسمّيها فاطمة، وعندما أخبرتها بالاسم قالت إنها لا تحبّذه لكنها لا تمانع إن كنتِ تريدين ذلك، وبكل صراحة، أنا المعارض الثقيل على الاسم لأن أصوله ليست بعربية...

قاطعته بعد أن وضعت يدها على كتفه باسمة، قائلة:

- فهد، أنا شارفت على السبعين من عمري، ولم أطلبك طلبًا في تسمية أيًا من أولادك، فهل تعارض طلب أمك في تسمية أبنتك التي هي حفيدتي؟

تبددت كل الأوتار العصبية التي كبّلته، فقام من مكانه وقبّل يدها ثم جبينها، وابتسم لها وعيونه تشتدّ لمعانًا واحترامًا، فقال:

- لا يتنازل المرء عن أمر إلا لكي يُفرح أبويه، وأنا تنازلت الآن عن كل شيء، وسأوافق على أسم أراميننا لأجلكِ.

أخذت تشدّه من ثيابه كي ينزل بجسده ويعانقها، فلبّى ما طلبت وأمرت، ثم استأذنها في الذهاب إلى زوجته، لأنها ستلد في أيّ لحظة، وما إن دار بنفسه نحو باب الخروج من الغرفة حتى سمع أمه تقول:

- ألم أخبرك أن الأمر بسيط وأن أبني فهد سيقتنع بهذا الاسم؟

ألتفت فهد إليها، وشاهد وجهها يميل إلى يسارها وكأنها تتحدث مع أحد مجهول، فقال:

- هل قلتِ شيئًا حبيبتي؟

نظرت إليه وهي تنزع سوار الذهب من معصمها، وقالت بكل بشاشة:

- لا بُني، لم أقل شيئًا.

ألم يحين الميعاد؟

تأنّت الأيام في قدومها حتى أشرقت شمس أرامينتا وأزهرت القلوب التي لم تشأ أن تتورّد قبل أن يأمر الله بولادتها، لم يرغبوا في تسميتها بهذا الاسم، لكنّ إصرار الجدّة واحترام الجميع لها جعلوها تنال كل أساس في عالمها الخفي الذي لن يخمد بعد أن ظهرت أرامينتا للحياة.

تلك الرضيعة التي تجهل ما معنى العوالم، سيكون شأنها عظيمًا بنظر جدّتها...

وما سكنت جدتها الغرفة طويلًا بعد خبر الولادة حتى أمرت أبنها الأصغر عيسى أن يأخذها إلى المستشفى لتقرّ عيونها فيها.!

وكانت طوال الطريق تتصل على فهد أبنها الذي لبّى طلبها في التسمية، وتستفسر منه عن أحوال الصغيرة، فتقول:

- ألا تكذب عليّ؟ هل فعلًا أرامينتا بخير؟

وما كان من فهد إلا أن يردّ:

- أمي حبيبتي، لِمَ أكذب عليكِ بصحة أبنتي؟ صدقيني ولله الحمد أخبرونا الأطباء أن كل شيء على ما يرام، وأنا انتظر أذنهم في الخارج الآن لأراها هي وزوجتي مريم.

أغلقت الخط وكانت الطمأنينة تُحيطها، وقالت:

- ألم أخبرك أنها بخير؟ كفاك خوفًا.

استوعب عيسى ما تُتَمْتِم فيه أمه، فقال مستغربًا:

- هل تقصديني؟

رأته أمه عبر المرآة الأمامية، وقالت:

- أقصد قلبي الذي أكلني من شدّة القلق!

الوصول

مسكت الجدة «صالحة» بيد الاطمئنان أن تكون حفيدتها المنتظرة بخير، وآثرت على نفسها أن تمشي دون إدراك أنها نست عصاتها.!

فأخذ أبنها عيسى العصا ولحق بأمه قائلًا:

- ما بكِ مسرعة هكذا حتى نسيت عصاتكِ حبيبتي! كل شيء بخير لِمَ القلق؟؟

وقفت وهي تنهق، وقالت بعد أن كانت رئتها تشكو الخطوات:

- لم أعبّر أن أمشي عشر خطوات متتابعة، العمر عندما يمضي يكون صعبًا على النفس...

أعطاها عصاتها، ومسك يدها الثانية كي يعينها على المشي، ثم قال:

- الآن لنمشي رويدًا حتى نصل ونطمئن على أرامينتا.

فابتسمت وهي تخطو ببطء، إلى أن وصلا على أعتاب باب المستشفى، نادى عيسى أحد العاملين، وأخبره أن يأتيه بكرسيّ متحرك لأمه، فقال لها وهما ينتظران العامل:

- لماذا أخترتِ هذا الاسم؟ لم أسألكِ من قبل.

حدّت أمه بعيونها حدّة السيف في الغِمد، وأرشقته بنظرة أجبرته أن يقول:

- هل سؤالي فيه عيب؟

قالت:

- العيب أنك تسأل أمك دون احترام.

أتى العامل ومعه الكرسي المتحرك، فجلست أمه «صالحه» على الكرسي، وأنزل عيسى جسده نحوها قبل أن يجرّها ليقول:

- أنا آسف إن شعرتِ بقلة احترام، لكنني اعتقد بأن سؤالي طبيعي حبيبتي!

فقالت وهي تضع العباءة على رأسها كما تفعل دائمًا:

- حتى أنت يا عيسى تغيرت علي، أنت الذي كنت أقول إنه أكثر المحترمين من أبنائي...

وقف عن جرّها وأقبل أمامها يقبّل رأسها ويقول:

- والله يا أمي لم أقصد، أصلًا هل سألتكِ شيئًا؟ أنا نسيت.

رأته وشدّته من ثيابه، فقبّلته وقالت:

- لا لم تسأل شيئًا، لنذهب بسرعة إلى أراميننا.

لم يمضِ الوقت أكثر من عشر دقائق حتى بادر فهد في استقبال أمه بالتقبيل والفرحة...

- ما شاء الله يا أمي، أرى عليكِ فرحة غريبة، أسأل الله أن أراكِ دائمًا هكذا!

ابتهجت لابتهاجه، وأخذت تناظر كل الزوايا ثم قالت:

- أين هي؟

فقال فهد:

- تقصدين مريم؟ هي في الملاحظة وبعد ساعة بإذن الله سيأخذونها إلى الغرفة.

لم يعجبها ذلك، فمسكت يد أبنها فهد، وشدّت عليها وهي تهمس:

- أراميننا

ضحك فهد وقال:

- لماذا تهمسين حبيبتي؟ بالطبع سنراها بعد قليل لا تقلقي.

غضبت وأتّضح عليها ذلك جليًا، فاعتلت نبرتها وباتت أكثر جديّة حين قالت:

- أريد أن أراها الآن!!

لم يشأ أن يُفسد فهد أجواء السعادة التي يعيشها، فقال لعيسى:

- كُن مع أمي، سأذهب وأخبر الممرضة أننا سنأتي لنرى الصغيرة.

كانت تلك الفكرة بنظر الأم «صالحة» فكرة شنيعة، فقالت وهي تصرخ فجأة:

- أيتها الممرضة أريد أن أرى حفيدتي!!

اقترب منها فهد مسرعًا ومسكها من كتفيها بتحنّن وقال:

- ما بكِ يا أمي؟ واللّه سترينها الآن أعطني دقيقة فقط!

كان عيسى يشتدُّ غرابة من تصرفات والدته، وينظر إليها وهو يبعد عنها مسافة قريبة باستغراب غير معلوم، لأنها وللمرة الأولى تفقد السيطرة وتنفعل في موقف لا يلزم من كان أن ينفعل فيه، فجلس عند ركبتيها وآثر على نفسه ذلك رغم أنه في مكان يحيطهما الناس من كل جانب بعد أن تجمعت كل العواطف في قلبه تجاه أمه وهو يجهل تمامًا تصرفاتها التي لم يعهدها إلا قبل سنين طويلة...

وما لبثا في الانتظار دقيقتين حتى قَدِمَ فهد وقال وهو يخطو نحوهما:

- لنذهب إلى الصغيرة.

فقالت:

- أسمها أرامينتا وليست الصغيرة، لم أسمعك تنطق الاسم أبدًا، ما بك يا بُني!

عبس وجهه ثم أخذت الابتسامة تظهر على وجنتيه، وقال:

- لا عليكِ، عندما اعتاد على الاسم سأنطقه كل وقت.

ثم قال لأخيه:

- عيسى أرجوك أوصتني الممرضة أن نلتزم الهدوء في الداخل.

قال عيسى بهدوئه الذي لم يغب عنه يومًا:

- لا تقلق.

ثم ذهبوا إلى الغرفة، وكانت الأم تترقب كما تترقب النحلة رحيقها، إلى أن أتت أراميـنتا بسريرٍ صغيرٍ يحملها على عرش الحياة، فوقعت نظرة جدتها عليها، وقامت من كرسيّها المتحرك ملهوفة لرؤياها، فوقفت متأملة، عيونها متلألئة كما كانت عيون الإيطاليين عندما وجدوا لؤلؤة نادرة في جزيرة صقلية في تراثهم العتيق، لم تكن على دراية بما تفعل بل أنها عادت في الزمن كأنها لم تلد ولم تصبح أمًا وجدةً حين أضاع عقلها بوصلة الإدراك، وقالت لفهد:

- هل أحملها؟

قال وهو يشير إلى أراميـنتا:

- هذه حفيدتكِ وأبنتكِ، طبعًا تحملينها متى ما شئتِ حبيبتي...

أخذتها الجدة برفق شديد، كأنها تخاف عليها من الهواء أن يخدشها، فقبّلت رأسها، وحرّكت أراميتا حاجبها ثم بكت بكاءً شديدًا، فضحكت جدتها عليها وقالت لأبنها:

- فهد أنظر كيف تبكي حبيبتي، يا جمالها!

أتت الممرضة لأنها أمرتهم أن يكون الوضع هادئًا، واستأذنتهم أن يخرجوا فأسرع عيسى في تقبيل أراميتا قبل أن تذهب للرعاية، ثم أعادتها جدتها إلى السرير مرة أخرى وهي تقول:

- أنتِ وريثتي حبيبتي، ستكونين بخير دائمًا في الحياة...

فقال عيسى مستفسرًا:

- ماذا تعنين بوريثتك؟

ألقت عليه نظرةً حادةً بعد أن وضعتها في السرير، وقالت:

- وما شأنك أنت؟؟

تعجب عيسى من حدة ردها وتعابيرها، لكنّه تجاهل ذلك لأنها أمه، ولا يريد أن يردّ ردًا يجعلها تغضب أكثر، فقال:

- أحبكِ أماه.

لم تعطيه أمه حجمًا لما قاله، وكانت منهمرة في اندماجها مع حفيدتها، فقالت دون وعي:

- ألم يحين ميعاد أن تكون معها؟

لم يفهما فهد وعيسى ذلك، فسمعاها تقول بعد ذلك:

- لا بأس، سأنتظر ذلك الوقت.

قال فهد مستغربًا:

- يمه، مع من تتحدثين؟

عادت إلى وعيها بعد أن تعثّرت في أمرها، وقالت متوترة:

- ها؟

قال عيسى:

- أيّ ميعاد؟ ومن معها؟ لم نفهم؟

أطرقت رأسها أرضًا وبكت فجأة وهي تردد:

- قلبي... قلبي معها دائمًا...

تبادلا النظر فهد وعيسى باستغراب، ثم غمز فهد للآخر أن يتجاهل مؤقتًا ذلك إلى حين أن يكونا لوحدهما.

في اليوم التالي...

الساعة الواحدة ظهرًا

1:09م

لم ينم فهد من الليل إلا أقلّه، وجلس حائرًا بتصرفات والدته يفكر أكثر مما كان يتجاهل سابقًا، فاتصل على أخوه عيسى وطلب منه أن يأتي إلى غرفة المعيشة، فأتاه عيسى فورًا وأخذ «دلة» القهوة وجلس بجانب فهد...

قال فهد:

- كيف هو شعورك تجاه أمي؟

أخذ عيسى يشرب فنجانه الثاني، وأتّضح عليه بعضًا من العجب والاستغراب، فأخذ تمرة، وهز رأسه ببطء وهو ينظر إلى أخوه...

قال:

- تصرفاتها غريبة، أذكر أنها كانت تتصرف بشكل مشابه بعد أن ماتت أختنا «حصة»....

لم يسكت فهد وقاطعه قائلًا:

- لكن هذا منذ سنوات طويلة!

فقال عيسى وهو يستعيد ذكريات الأحداث المزعجة آنذاك:

- أتذْكر عندما ذهبنا بها إلى قارئ يقرأ عليها القرآن؟ أتذكر ماذا قال؟

حاول فهد أن يتذكر لكنّ الذاكرة خانته، فقال وهو يصبّ القهوة بالفنجان:

- أتذَكّر جيدًا الشيخ، لكنني لا أذكر ما قاله تحديدًا لأنني كنت دائمًا مع مريم في ذلك الوقت بالمستشفى.

قال عيسى:

- أخبرنا أن هناك سرًا في قلب أمي لم يستطع الوصول إليه، لم أعرف إلى الآن ما يرمز إليه، لكنني متأكد أنها ليست وحدها...

بُهت فهد وسكت، ثم أخذ ينوح في نفسه، وقال:

- ماذا تقصد؟

- لا أعلم، صدقًا لا أعلم، لكنني أشعر بذلك، أشعر أنها غير طبيعية، وكلما حاولت أن أقترب منها تغضب، فاكتم الأمر خوفًا على صحتها.

قال فهد:

- أتعلم؟ لا أعتقد أن الموضوع بنفس ما تتصوره أنت، بل ما أجزم به أنها بعد أن ماتت أختي حصة دخلت بحالة نفسية صعبة، لأنها كانت الأقرب لها، وفاجعة الموت بحادث سير أدى إلى اهتزازها من الداخل كما حدث بنا جميعًا، لكنها كانت أكثرنا في الصدمة، ولم

تُشفى منذ ذلك اليوم وبقي جرح فراق حصة في قلبها، ثم تراكم مع ذلك مقتل أبي، فأنا اعتقد أنها تتحدث مع نفسها دائمًا كي تُخرج ما بها من كتمة، وهذا أمر طبيعي.

سكت عيسى وكان وجهه يلوّح فاهيًا، فقال فهد:

- لكنني أتسائل، لِمَ عادت لها العادة القديمة هذه الأيام؟ هل بسبب كبر سنها؟

- لا أعلم يا فهد، لكنني أرجو من الله أن تستعيد ابتسامتها مع أرامينتا، وشكرًا لك حقًا لأنك وافقت على التسمية من أجلها، لم أشهد على أمي السعادة أكثر مما شاهدت سعادتها برؤية أبنتك في المستشفى أمس!

قبض فهد دمعته وأجبرها أن تسكن عيناه دون أن تنحدر...

قال:

- والله وبالله وتالله يا عيسى أنني رفضت الاسم رفضًا قطعيًا، لكنني انهزمت عند إلحاح أمي، وكل ما أخافه في المستقبل أن تعاتبني أرامينتا على أسمها.!

ثم ألتفت إلى عيسى فجأة وقال:

- تعال أنت! متى ستتزوج؟ أنظر إلى الشيب في شعرك!

ضحك عيسى وقال:

- لا تقلق، عندما أصل إلى عمر الأربعين سأفكر في الأمر.

سمعا صوت عكازة الأم «صالحة» فقاما من مكانهما فورًا وذهبا نحوها...

كانت تمشي بخطواتها البطيئة كعادتها، فقبّلا رأسها، ثم قال فهد:

- يا مرحبا بحبيبة قلبي!

ضربته ضربةً خفيفة على فخذه بالعكازة، وابتسمت قائلة:

- هذا الكلام لا أحبّ أن أسمعه إلا من أبوكما رحمه الله.

مسك عيسى يدها، وقال:

- تريدين «الدلة»؟

فقالت:

- بالطبع، وأريد من أحدكما أن يذهب إلى سوق التمور ويأتيني بالرطب، هذا هو موسمه.

قال عيسى:

- سأذهب حالًا، هل تريدين شيئًا آخر؟

قالت:

- لا...

ثم رأت فهد، وقالت:

- متى تأتي أرامينتا إلى بيتنا؟

فقال:

- بعد أن تنتهي مريم من الأربعين.

تأفّفت وقالت:

- سأنتظرها كل يوم، وإن متُّ وأنا انتظرها أخبرها جيدًا أن جدتكِ تحبكِ وستحافظ عليكِ وتحميكِ حتى بعد مماتها.

قبّل فهد يدها، وأمضت ملامحه متغيرة نحو الحياة. وقال:

- بعد عمرٍ طويل حبيبتي! بإذن الله ستكبر وتزوجينها أنتِ، وتفرحين وترقصين في زفافها...

ضحكت أمه وقالت:

- الله المستعان.

سأكون معك غائبًا كنت أو حاضرا

لم ترحم الأيام الأم «صالحة» بل أخذتها إلى بئر الألم بعد أن سقطت في وكر المرض وتم تشخيصها بقصور في وظائف الرئة، فدخلت في دوامة لا يعلمها عالم، ولا يلطف عليها سوى الرحمن الرحيم، فتكبّدت معيشة بائسة واستمرت على ذلك شهورًا تتبعها السنين، إلى أن أضطرّ كلًا من فهد وعيسى أن يقترضا من البنك مالًا حتى يستطيعا أن يتكفلا بتكاليف جهاز التنفس المنزلي الذي سيلازمها في حلّها وترحالها، لم يرغبا أن يأخذا لوالدتهما جهازًا عاديًا، بل بحثا حول ذلك حتى وجدا جهازًا ثمينًا يحفظها في جلوسها ومنامها، وفي هدوئها وانفعالاتها، فما كان منهما إلا أن يقدّمانه لوالدتهما هدية ليكون لها خير معين على تفاصيل الحياة التي تتغيّر كما تتغيّر السماء في الليل والنهار...

عصفت السنين بعواصفها الجمّة، واستوطنت الأم «صالحة» الفرح رغم آلامها في كل مرة تأتيها أرامينتا، لم تشعر أنها على قيد الحياة إلا عندما تختبئ أرامينتا وراءها وهي تحتمي بجدتها التي سخّرت جُلّ طاقتها واهتمامها في توفير كلّ ما يمكنها أن توفرها لحفيدتها...

بلغت أرامينتا من العمر ستة أعوام، وكانت لا تحبّ أن تجلس دون جدتها، بل أن أمها «مريم» دائمًا ما تلح عليها أن تترك جدتها قليلًا لأنها كبيرة بالسن وتحتاج للراحة

الدائمة، لكن أرامينتا بنعومة عمرها وبراءة قلبها لا تفهم ذلك فهمًا دقيقًا، بل أنها كلما رأت أن هناك فرصة لأن تذهب إلى جدتها لا تتردد في ذلك أبدًا!

***

الخروج عن المنطق

كانت الجدة «صالحة» تربط شعر أرامينتا ربطًا قديمًا في شكله، وكانت أرامينتا شديدة السعادة لذلك، فقالت جدتها قبل أن يأتي أحد:

- أرامينتا، أريد أن أخبركِ سرًا.

قالت تلك الطفلة الجميلة التي لا تفهم فهمًا سطحيًا ما معنى الأسرار في هذه الحياة المُرهقة:

- لن أخبر أحدًا جدتي

فقالت الجدة:

- غدًا هو أول يوم لكِ في المدرسة، أريدكِ أن تكوني جيدة في الدراسة ولا تسمحي لأحد أن يعرقل حفظكِ للدروس، وانتبهي جيدًا من زميلاتكِ والمعلمات، وأريدكِ الآن أن تسمعي السر وتعملين به!

- ما هو السر جدتي؟

مسكت الجدة أراميننا من كتفيها، وأدارتها نحوها، فوضعت أصبعها بتحنّ على أنف أراميننا ثم مسحت على وجهها مسحة تملؤها الحب، وقالت:

- إذا تمتّ مضايقتكِ في المدرسة، سأكون معكِ غائبة كنت أو حاضرة، أريدكِ أن تقولي «كنان»، أحفظي الاسم جيدًا...

قالت أراميننا مستغربة:

- من سيضايقني في المدرسة جدتي؟ بدأت أخاف من المدرسة لا أريدها

ضحكت الجدة وقالت بعد أن قبّلت رأسها:

- حبيبتي أراميننا، لا أحد يستطيع أن يضايقكِ وأنا على قيد الحياة اطمئني.

- أحبكِ جدتي...

ثم عانقت أراميننا جدتها، وقالت:

- أقول «كنين»؟

فقالت الجدة:

- «كنان»

- كنان؟

- نعم حبيبتي، لا تنسي الاسم.

دخل أبوها فهد فازعًا، فاعتقدت الجدة أنه سمعها، فانفعلت عليه قائلة:

- أفزعتنا بدخولك السيء يا فهد!!!

قال:

- كنت أبحث عن أرامينتا، الحمد لله أنها هنا.

فقالت أمه بغطرسة:

- في كل لحظة تفتقد فيها أرامينتا، ستجدها معي...

قالت أرامينتا:

- أبي هل تعرف «كنان»؟

تلعثمت جدتها وودّت لو أنها تخيّط فمها أو أنها لم تخبر أرامينتا بذلك، لكنها تناست أنها لا تزال طفلة تنسى حفظ الأسرار بل أنها ربما تجهل ذلك من الأساس، فقالت:

- أتقصدين فيلم الكرتون أرامينتا؟

ضحك فهد وقال:

- ربما شاهدت ذلك بهاتف أمها، عمومًا تعالي سنخرج للألعاب...

ألقت أرامينتا بقبلة عميقة على رأس جدتها، فهمست لها جدتها بعد أن سبقها فهد بالخروج: لا تخبرين أحدًا بذلك السر...

قالت أرامينتا:

- لن أخبر أبي وأمي...

فقالت:

- ولا أيّ أحد يا أراميننا، حتى أخوتكِ، وصديقاتكِ في المدرسة.
- لن أخبرهم، سأذهب إلى أبي أريد أن أتمرجح هناك المكان ممتلئ بالألعاب التي أحبها منذ أن كنت صغيرة!

قالت جدتها بابتسامة:

- أوه منذ أن كنتِ صغيرة، أنتِ كبيرة الآن ما شاء الله حبيبتي، خُذي الحلوى التي تحبينها وأذهبي إلى أبوكِ.

في اليوم التالي
الساعة السابعة إلا عشر دقائق
6:50 صباحًا

أصرّت أرامينتا أن يكون يومها الأول في المدرسة بصحبة أبويها بعد أن كان من المقرر أن تذهب معها أمها مريم فقط، لكنها تريد أبوها أيضًا فامتثل أبوها لما تودّ فورًا واستأذن من عمله هاتفيًا، وما إن وصلوا إلى المدرسة ورأت أرامينتا دخول الطالبات من البوابة التي تزيّنت بالعام الدراسي الجديد حتى قالت:

- أنا خائفة أريد أن نعود إلى المنزل...

قال أبوها وهو ينظر إليها من المرآة الأمامية:

- حبيبتي، هذا المكان ستحبينه جدًا، وستكوّني صداقات رائعة!

فقالت أمها توافقًا:

- وستحبين معلماتكِ والحصص، ونحن دائمًا معكِ، واليوم سندخل معكِ إلى الصف، لا تقلقي لن نتركِكِ وحدكِ!

قالت أرامينتا بنبرة حزينة:

- لكنني كنت أريد أن تأتي جدتي معنا...

ابتسم لها أبوها فهد وقال:

- جميعنا نعلم أنكِ تحبينها جدًا يا أرامينتا، وجدتكِ تحبكِ أكثر حبيبتي، لكنها مُتعبة ولابدّ أن تكون في

المنـزل بالقـرب مـن جهـاز التنفس، بـإذن اللّه سـنرتب يومًـا نجعلهـا تأتـي وتشـاهدكِ داخـل الفصـل.

ثم قالت أمها مريم:

- والآن سـننزل معـكِ ونحتفـل بعامـكِ الدراسـي الأول معًـا داخـل الفصـل!

أخاف عليك من أبسط الأمور وأعظمها

بإمكانك أن تصنع شخصًا ناجحًا يحمل في قلبه الطموح الذي لا ينطفئ من ذكريات طفولته، وبإمكانك أن تصنع شخصًا مهزوزًا لا يعرف أين الطريق الصحيح من ذكريات طفولته أيضًا...

وقفت أرامينتا على أعتاب كل يوم وهي تحبّ المدرسة أكثر في كل ليلة تنقضي، إلى أن حدث لها حادثٌ فَزِعت منه في يومها العاشر داخل جدران المدرسة بعد أن صرخت عليها معلمة اللغة العربية حين كانت أرامينتا منشغلة في الرسم أثناء الحصة، وكان على المعلمة أن تراعي وجود الطفلة للمرة الأولى في مكانها الدراسي الذي لا تعلم علمًا واضحًا كيف تتصرف، بل أن المعلمة كانت قاسية معها وكأن أرامينتا تبلغ سن الرشد، فبكت أرامينتا بكاءً شديدًا ولم تلتفت المعلمة لها حين سكنت الدرس من جديد.!

قامت أرامينتا من كرسيها، ترغب بالخروج، لكنها رأت المعلمة «سلمى» تقول:

- عودي إلى مكانكِ، لا يجوز الخروج إلا بالفسحة.

لم تفهم أرامينتا بعد ما تقوله معلمتها لأنها تبكي ولا تريد سماعها، وما إن وصلت عند الباب تريد الخروج حتى وجدت المعلمة تمسكها من ذراعها وتسحبها إلى كرسيها، فصرخت أرامينتا قائلة:

- كنان!!!

لبثت المعلمة مكانها بعد أن سمعت أرامينتا تصرخ، ثم أخذت الرجفة تسكن أحشاءها حتى تبددّت وذبلت وما استقرّ قلبها في هدوء نبضاته إلى أن رأت أرامينتا المعلمة تسقط أرضًا!!

تجمعّن حولها الطالبات وأخذن يرددن: ماتت المعلمة سلمى!

فركضت أرامينتا إلى الخارج ورأتها معلمة ثانية فأوقفتها قائلة:

- لماذا تركضين؟

قالت أرامينتا بالرعب الذي ينبض فيها:

- المعلمة سلمى ماتت!

لم تدرك أرامينتا ما حصل سوى أنها عاشت كابوسًا يفوق تفاصيل عمرها الذي لا يجب أن ترَ ما رأته في أروقة المدرسة، وكانت ليلتها هذه أشدّ صدمةً طوال عمرها الذي يُعدّ على أصابع اليد الواحدة، لم ترغب في الحديث أبدًا، واكتفت بالصمت الذي تكتم خلفه كل أسوار الارتباك، تشوَّشت بصيرتها، واعتزلت النزول إلى جدتها ثلاث ليالٍ حتى أنها كانت تبكي في كل صباح يُريدان أبويها أن تنهض للمدرسة، فاستوطنت مكانها خائفة، واعتزمت أمها مريم أن تذهب إلى المدرسة لتكتشف إن كان هناك أمرًا يجعل أبنتها في هذا المربع المريب، فأخذت نفسها وأخبرت زوجها فهد أنها ذاهبة إلى المدرسة التي تبعد عن منزلهم مسافة شارعين فقط...

وصلت وهي تتعجّب من تصرفات أبنتها، بل أنها خائفة عليها مما حلّ فيها، فطلبت لقاء المديرة، ثم جلست تنتظر، ولم تطيل الجلوس سوى دقائق معدودة حتى سمعت:

- أم أرامينتا، تفضلي...

نهضت واستجابت للنداء، ثم طرقت الباب ودخلت بهدوء واستقامة، وكانت المديرة تنظر إليها برسمية تامة، فقالت مريم:

- أريد أن أسألكم هل حدث أمرًا لأبنتي جعلها تكره المدرسة بعد أن كانت تخبرنا أنها تحب وجودها داخل الفصل؟

تأنّت المديرة -أستاذة منيرة في الردّ بعد أن طلبت مشرفة جناح الصف الأول، ثم قالت:

- أنا أعرف ما حصل لأبنتكِ تمامًا، وكان ذلك قبل أيام، لكنني أودّ الحديث عن ذلك والمشرفة موجودة.

فقالت مريم:

- هل تخبرينني من فضلكِ الذي تعرفينه ريثما تأتي المشرفة؟

لم تعطيهما المشرفة مجالًا لبدأ الحديث بعد أن وصلت وقالت:

- أستاذة منيرة تفضلي.
- أم أراميننا موجودة وتريد أن تعرف ما حصل لابنتها.

قَدِمَتْ الأستاذة سعاد وصافحت مريم، ثم جلست أمامها، وقالت:

- أراميننا طالبة مهذبة، وبالرغم من أن وجودها في المدرسة للتو لم يصل للشهر الأول حتى إلا أنها استطاعت أن

تكسب قلب كل من يراها بأخلاقها وهدوئها وابتسامتها الجميلة ما شاء الله...

تبسّمت أمها وقالت:

- شكرًا لكِ حبيبتي أستاذة سعاد على هذا الإطراء لأبنتي، وللأمانة هي كانت تحب المدرسة وتخبرنا دائمًا عن التفاصيل التي تعيشها بمرح، لكنها خلال الأيام الثلاثة المنقضية لا نعلم أنا وأبوها لماذا تبكي وترفض القدوم!

أخذت الأستاذة سعاد نفسًا، ثم نظرت إلى المديرة نظرةً خاطفةً، وقالت:

- حدث أمرًا أرعب كل الفتيات اللاتي في الفصل، وهناك أصلًا عشر فتيات من أصل واحد وعشرون داخل الفصل تغيّبن عن الحضور منذ ذلك اليوم...

استغربت مريم، وقالت:

- ماذا حصل؟

قالت الأستاذة سعاد:

- اعتَرَضْتُ أبنتكِ أراميننا وهي تركض خارج الفصل، فأخبرتني أن المعلمة سلمى ماتت...

قالت مريم بصدمة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ماتت داخل الفصل!!!

أكملت الأستاذة سعاد قائلة:

- وجدنا أن الأستاذة سلمى قد أغمى عليها، ولم تمُت، لكنّ ذلك الموقف الذي ليس بأيدينا جعل بعض الطالبات يخفن من وجودهن في المدرسة، خصوصًا أنهنّ في الصف الأول وللتو قدمن للمدرسة، الموقف صعب عليهنّ!

ثم قالت المديرة الأستاذة منيرة:

- وبعد أن ذهبنا بالأستاذة سلمى إلى المستشفى والحمد لله كان مجرّد إرهاق حسبما كانت قراءة التحاليل، أخبرتنا بآخر شيء تتذكره، أنها غضبت على أراميننا بسبب استعجالها في إنهاء الدرس وكانت أبنتكِ ترسم، هذا ليس مبررًا طبعًا أنها تصرخ على الطالبة، لأنها لا تزال غير مدركة لكل شيء داخل الفصل، والإدراك يأتي بالممارسة بعد أن تفهم فهمًا جيدًا لماذا هي تدرس وتتعلم، عمومًا، أخبرتنا الأستاذة سلمى أيضًا أن أراميننا كانت ترغب في الخروج من الفصل وهي تبكي لكنها اعترضتها بسبب أن خروج الطالبة غير الفسحة ممنوع، ثم لا تتذكر ما حدث بعد أن أغميَ عليها...

فقالت الأستاذة سعاد:

- نطلب منكِ بكل لطف أن تسامحي الأستاذة سلمى على ما فعلته تجاه أبنتكِ، وما حدث هو أكبر دليل على أنها كانت مُرهقة ولا تتحكم بتصرفاتها.

لبثت مريم مصدومة مما سمعت، وعلمت علمًا مشهودًا لماذا أراميننا تغيّرت تجاه المدرسة، فطلبت مريم أن ترى الأستاذة سلمى، فاستدعوها، وما إن وصلت حتى نهضت مريم وقالت:

- أستاذة منيرة، أستاذة سعاد، استأذنكما، أودّ الحديث مع الأستاذة سلمى على انفراد...

ثم مشت نحوها وصافحتها بحرارة وتحمّدت لها بالسلامة، وقالت بنبرة منخفضة هادئة:

- في المرة القادمة، عندما تشعرين أنكِ متعبة، لا ينبغي عليكِ القدوم إلى المدرسة، اجلسي في البيت وارتاحي، وهذا سيكون أفضل قرار لكِ وللطالبات.

هزّت المعلمة سلمى رأسها مُتقبّلة كلام أم أراميننا، وقالت:

- بإذن الله ذلك لن يحدث مجددًا، وأودّ فعلًا أن أرَ أراميننا الصغيرة الجميلة مرة أخرى.

لانت مريم من لباقتها، وقالت:

- بإذن الله يوم الأحد ستجدينها في الفصل، احتويها أرجوكِ أستاذة سلمى، فأنا أخاف عليها من أبسط الأشياء وأعظمها!

- سأكون لها القلب الحنون في هذا المكان، لا تقلقي.

لن تسقط وقلبك يمتلئ بحُبِ الله

استعصت الأيام وأفزعت كُلّ قلبِ أحبّ الأم «صالحة» بعد أن عانقها المرض عناقًا جعلها تتنقل من مستشفى إلى آخر بحثًا عن تشخيص دقيق لحالتها التي لا تسرّ العدو قبل الصديق، واستقرت في نهاية دورانها مع أولادها على المستشفيات في مستشفى للأمراض المناعية بحثًا عن السبب الذي جعل جسدها لا يقوى على الحركة.

استمرت الفحوصات ثلاثة أسابيع متتابعة، إلى أن تمّ تشخيصها على يد استشاري أمراض الدم الدكتور غازي مؤيد الذي عُرف عنه دقته في قراءة التحاليل ودراستها وتشخيصه المتمكن في ذلك!

دخل الدكتور إلى غرفة الأم صالحة بعد أن طرق الباب مستأذنًا، فرحبا فيه كلًا من فهد وعيسى، ثم سألهما الدكتور بصوت خافت لأن أمهما نائمة:

- من فيكما أبنها؟

فقال فهد:

- كلينا.

قال الدكتور:

- أريد الأكبر فيكما أن يتفضل معي للخارج دقيقة.

ناظر عيسى أخوه، وقال:

- هو الأكبر...

فخرج فهد مع الدكتور، وكان أخوه عيسى يسرق السمع من وراء الباب...

وقف الدكتور وهو يشدّ على ساعد فهد، ثم قال:

- تبيّن لي في التحاليل الدقيقة والأشعة أن أمك تحمل سرطان في الدم، لكنّ الأمر الذي يدعو للطمأنينة أنها لا تزال في المرحلة الأولى ولم تتمكن الخلايا منها بعد، لذلك أعطيت وصيتي لمركز الشيخة «بدرية الأحمد» لعلاج الأورام والخلايا الجذعية بضرورة تواجد أمك هناك والبدء في تلقي جرعات العلاج...

كان فهد ينصت بجزع إلى ما يخبره الدكتور عن حالة والدته، خشية عليها أن يصيبها مكروه مما تحمله من مرض، فاستدمع لكنّه ظلّ صامدًا متحزمًا بصبر المؤمنين الذين لا يصيبهم إلا ما كتبه الله لهم.

قال:

- ألن تشرف أنت يا دكتور عليها؟

قال الدكتور غازي:

- لا، ليس من اختصاصي مرحلة العلاج، ولكن لا تقلق! هناك دكتور هندي يدعى «راميش» هذا الدكتور موجود في مركز الشيخة بدرية الأحمد قُرابة العشرون عامًا وهو متمكن مما تحمله أمك من مرض، بل أن بعد الله سبحانه علاجها معه مؤكد أنه يستطيع بإذن الواحد الأحد.

توجّس فهد لوهلة، ثم أنه لم يعي إذ عيسى يفتح الباب وعيونه تشتدّ احمرارًا، فقال:

- عيسى كُن مع أمي...

لم يسمعه عيسى حين قال للدكتور بنبرة متوترة دامعة:

- دكتور، هل ستموت أمي؟

قال الدكتور:

- استغفر الله، بإذن الله ستنعمان في نعيمها بعد أن تتعالج، نحن نبذل الأسباب والله سبحانه من يقرر.

دخل فهد إلى الغرفة، ثم قبّل رأس والدته قبلةً طويلةً، وسقطت دمعة بالخطأ على جبين أمه، فمسحها وقال:

- بإذن الله ستكونين بخير حبيبتي.

***

في اليوم التالي
الساعة السابعة صباحًا
7:08

أخذت سيارة الإسعاف الأم صالحة وأوصلوها لمركز بدرية الأحمد، وكانت تسأل فهد عن السبب فيجيبها:

- علاجكِ بسيط حبيبتي، لكن يجب أن يكون في هذا المركز...

وانتظروا جميعًا قدوم الدكتور «راميش»، وكانت أرامينتا تجلس في حضن جدتها مستلقية ونائمة بأمانها، إلى أن دخل الدكتور بوصية فهد ألا يخبر أمه بالمرض، فألقى السلام، وكان شعره يكسوه الشيب، متوسط القامة، يرتدي نظارة طبية صغيرة نسبة لامتلاء وجهه، فقال وهو يتحدث العربية المتكسرة:

- ما في خوف، كل شي زين، بعد يومين نبدأ بالعلاج، وراح يكون خفيف لأن الرئة عندك مو مضبوط.

قال عيسى:

- لكن دكتور، كم مدة العلاج؟

فقال الدكتور وهو ويشير بكلتا يديه إلى المجهول:

- ما يدري بس ممكن يطول لأن ماما فيها تعب بالرئةِ، فأحنا بنسوي العلاج بسيط بمدة أطول، ما في خوف...

ثم استأذن وخرج مع ممرضيه فأقلب فهد بعيونه إلى الباب، وقال:

- يبدو أنه متمكن من عمله!

قالت الأم صالحة:

- سكوت! أرامينتا نائمة لا تزعجونها!

لا أريد من الدنيا أمرًا سوى أن أراك بخير

أصرّت أرامينتا في أولى أيام جدتها بالمستشفى أن تجلس معها دائمًا ولا تُفارقها، وتسلّحت رغم صغرها بالنبالة والأصالة، بل أنها جسّدت كل معنى من معاني الحب الصادق الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الحياة، لكن المدرسة حالت بينها وبين ما تُريد بعد أن أجبرها أبوها فهد على الذهاب وعدم الغياب، وكانت في كل يوم تعود فيه من المدرسة تخبر أبويها أنها تود الذهاب إلى جدتها صالحة، وكان أخويها يستغربان من هذا الحب المفرط، فكان يقول أخوها فارس:

- لماذا تحبين جدتي لهذا الحد؟

وكانت تردّ عليه أخته الصغيرة أرامينتا:

- ألا تحبها أنت يا فارس؟

- بلى أحبها، لكن الجميع يرى أنكِ تحبينها أكثر، لماذا؟؟

ذهبت أرامينتا إلى صندوق ألعابها، ففتحته وأخبرت أخوها فارس أن يقترب، ثم قالت بعد أن أتى:

- أنظر، في كل يوم تجلب لي لعبة جديدة، وهي من تحميني دائمًا وتعطيني الأشياء التي أحبها...

دخل أبوهما فهد عليهما، وأخبرهما أن يغيّران ثياب المدرسة لأنهم سيذهبون إلى الجدة صالحة، فما لبثت أرامينتا واقفة حتى استوعبت ذلك استيعابًا كاملًا وركضت

بأشدّ سرعتها إلى غرفتها، وغيّرت ثيابها بأقل من دقيقة محسوبة، ثم عادت إلى أبوها وقالت:

- انتهيت، لنذهب...

تبسّم أبوها مستغربًا، وقال:

- لننتظر أخويكِ وأمكِ في الصالة تعالي.

أطاعته أراميننا، وكانت تمشي بمحاذاة أبوها فوقع في رأسها سؤالًا جعلها تسأل بعفوية قائلة:

- بابا، متى أصبح كبيرة؟

وضع أبوها يده على عنقها بتلطّف وهو يسير بجانبها، ثم وقف وحملها، وقبّل خدها، وقال:

- عندما تمرّ السنين حبيبتي، لكن لماذا تريدين أن تكونين كبيرة؟

كانت تراه وعيونها تبرق، لأن الله خلق عيونها بارقة... قالت:

- لأنني أريد أن أقود السيارة وأكون عند جدتي في كل وقت...

أخذ أبوها فهد نفسًا وأسكنه داخله، ثم وضعها على الأرض، وظلّ منحنيًا نحوها، فقال:

- جدتكِ تحبكِ جدًا يا أراميننا، هي تستحق هذا الحب منكِ.

تزعل الدنيا بس أنتِ لا تزعلين

لعلك تنتظر نجمةً، والله يريد لك القمر، لعل وراء كل غيمة سوداء فرحة لم تدركها بعد.

استمطر فهد من مكالمة الدكتور «راميش» بقايا الأمل القابعة في روحه الخائفة على والدته، واستقرّ بجانب زوجته مريم في حجرتهما، فقالت له:

- شاركني حبيبي بما يدور في رأسك، أراك صامتًا وتفكر!

تنهّد تنهيدةً طويلة، ثم نَكَسَ رأسه، وقال:

- أخبرني الدكتور راميش في مراجعتنا الأولى معه بعد عام من العلاج الخفيف أن جسد أمي لم يستجيب لضعف العلاج، وقبل قليل أتصل عليّ يخبرني أن أقْدِمَ له بعد ساعتين.

اقتربت مريم منه، وجلست بجانبه، وقالت:

- كم مر على علاج خالتي إلى اليوم؟

قال فهد:

- عام وثمانية أشهر بالضبط.

قالت مريم:

- ولم يستجيب جسدها أبدًا؟

- في السنة الأولى يا مريم، أما بعد ذلك فقد مرّت ثمانية أشهر، واليوم سيتضح ذلك أثناء لقائي بالدكتور، لا أعلم هل استجاب جسدها أم لا يزال ينهش بأمي حبيبتي وهي لا تعلم!

لـم يـدرك أحـدًا منهـم جميعًـا القـدر القـادم، ولـم يكـن هنـاك تحليـلًا دقيقًـا يخبرهـم أن السـماء الصافيـة قادمـة، وبَقِـيَ كلٌ فـي زاويتـه يدعـو ربـه، وكانـت أراميـنتـا تكبـر فـي أعوامهـا ويكبـر حُـبّ جدتهـا فيهـا، بـل أن أوردتهـا تغيّـرت وغـدت أكثـر فِطنـةً، فانسـلخت مـن طفولتهـا إلـى العتبـة التـي تسـجد لخالقهـا وترجـوه أن يحفـظ جدتهـا صالحـة وتنعـم ماكثـة فـي صحتهـا.

لا تخـف مـن أمـرٍ أقلقـك، فـاللّه سـبحانه وتعالـى ألطـف علـى نفسـك مـن نفسـك..

أطمئـن، فـلا شـيء فـي هـذا الكـون الواسـع يُعيـد لـك شـغفك فـي الحيـاة أكثـر مـن قـول اللّه سـبحانه وتعالـى: (وَجَاءَتْـهُ الْبُشْـرَى)

خربشات مشاري

سنحيا من جديد
على سماءٍ صافية..
سنحيا ونعود
ويعود العالم بداخلنا!
سأمسك النار عنك
كي أراك مطمئنًا
لن أشرب القهوة وحدي
ما دُمنا معًا!
لن أسمع أغنيتنا وحدي
أريدنا جسدًا واحدًا
في الأرض والفضاء!
نتشارك قراءة رواية
نلعب معًا..
«لا أُريدني وحدي»
دون أن أراك!

تروّى فهد قبل أن يأخذ كل سلاح يتسلّح به من رجاء، وأبلغ عيسى أن يشاطره هجرته المؤقتة إلى المستشفى، فما بلغا ذلك حتى شدّ فهد يده بيد عيسى قبل أن ينزلا ويسمعا أخبارًا يجهلانها، وقال:

- عيسى، كل ما تبقَ لنا في هذه الحياة أمي، أبي مات مغدورًا، وأختي حصة ماتت بحادث، أحبّ عائلتي الصغيرة التي بقيت، أيًا كان الذي سنسمعه، أريد أن أراك ثابتًا.

سالت دموع عين عيسى، وبللت لحيته الكثيفة، رغمًا عنه، لكنه كان ولا زال شامخًا في عمله وعند كل البشر الذين يعرفونه، لكنّه لم يتجاوز إلى الآن مقتل أبوه، وحادث أخته، وبات ذلك سوادًا يعصر قلبه كلما تذكرهما، كأنما يدًا تُمسك روحه وتقطّعها أشلاءً...

قال فهد وهو يشدّ من عزم أخوه:

- تذكّر أبنائي فارس وعيسى الذي سميته عليك، كيف يحبّانك، أريدك أن تقوى بهما، أمسح دموعك يا كبير، وكن صلبًا، لننزل...

***

بعد نصف ساعة

نادى الدكتور راميش الأخوين أن يدخلا عليه في المكتب عن طريق السكرتارية، فنهضا من مقعدهما وارتحلا إليه، فسلمًا عليه واستأذنهما في الجلوس، فجلسوا جميعًا، وكان الدكتور راميش لا يحبّ المقدمات في حديثه عادةً... قال:

- جسم ماما ما يستجيب للعلاج، ممكن لأن العلاج خفيف، حاولنا أن نزيد في الجرعة، بس في خوف أن ماما يتعب لأن الرئة مو مضبوط، إلى الآن الخلايا ما في انتشار في الجسم زايد...

أفاق عيسى من تهجده مُغتاظًا، ومسك بيديه الغاضبتين المكتب، بل أن عيسى كان يملك جسدًا مهيبًا ضخمًا!

قال وقد تحوّل صوته إلى نبرة ثائرة:

- هل أنت حقًا تفهم بالعلاج؟؟ هل تنتظر أن تنتشر الخلايا أكثر؟؟؟

نهض فهد مسرعًا ومسك أخوه وعيونه غاضبة عليه، لكنّه ابتلع لسانه خشيةً أن يكون حديثه مفعمًا بالخدش، واكتفى أن يأمر أخوه عيسى قائلًا:

- عيسى أجلس!!

غضّ الدكتور راميش نظره عنهما، وقال:

- أنا يدري أن القلب يعور، بس مشكلة الماما بالرئة، وإذا في زيادة بالعلاج يصير نزيف وغيبوبة لأن الرئة ما يتحمل ومرض السكر يصير داخل قوي.

قال فهد وهو يحاول كظم غيضه:

- ما هو الحل يا دكتور؟ لا ينبغي أن نشاهد أمّنا تتعب دون أن نتحرك، هل من علاج فعّال في الخارج؟

قال الدكتور راميش:

- لا، ما في علاج بالخارج زين، كله نفس العلاج، أنا يحاول ان شاء الله يلقى حل، ما في خوف واجد، كل شيء عند الله...

خرج عيسى مُنفعلًا يودّ لو أنه يكون مكان أمه ولا يراها بهذا العذاب، فلم يلملم نفسه، ولم يعرف أيّ أتجاه يسلك حتى رأى أخوه فهد يخرج من مكتب الدكتور...

قال عيسى وهو يتحرك غضبانًا في كل أتجاه:

- فهد، فهد، لابدّ أن نجد حلًا!!

قال فهد:

- اهدأ، لنصعد إلى غرفة أمي، ثم نفكر سويًا.

ستهزمك الحياة مهما كنت قويًا أمام أبويك، هما بعد الله سبحانه من تعيش لأجلهما، لا يأخذك الموج غارقًا إلا عندما يضعفا، ولا تكون وسط الصحراء تُصارع بأسك إلا حين يمرضا، لكنّ الله سبحانه يعلم بمدى حبّك لهما، وذلك الاطمئنان، لأن الدعاء الصادق لهما مُستجاب، والجنة ستجمعكم جميعًا بإذن الله.

دخلا الأخوين على أمهما «صالحة» واستغرب فهد من وجود أبنته أرامينتا وهي تسقي جدتها بالماء، فقال:

- من أتى بكِ إلى هنا يا أرامينتا؟

قالت وهي تروي جدتها العطشانة:

- أمي، ولا أريد أن أذهب إلى المنزل الآن...

فتبسّم لها، ثم اقترب منهما وقبّل رأس أمه، وانطوى في جلوسه بجانبهما، لكنّ عيسى كان واقفًا لم يتحرك منذ دخوله، وأتّضح ذلك على ملامحه التي لم تركد بعد، فقالت أمه:

- عيسى بُني، هل هناك أمرًا يجعلك عابسًا هكذا؟

تَمثّل عيسى بأن الأمر وهمًا في عيون أمه، وجعل من عبوسه بسمةً ضائعة، فقالت أمه مجددًا:

- عيسى أعرفك جيدًا حبيبي، لا تراوغني، وأخبرني...

فهد كان أشدّ نباهةً من أخوه، بل أنه كان دائمًا ذلك الشخص الذي يستطيع أن يحوّر أيّ موضوع بنباهته، فبدّل ملامح أخوه إلى استحسان عندما قال:

- عيسى أخبر أمي عن رغبتك بالزواج إلى متى وأنت تخبئ ذلك عنها؟

استحسن عيسى حصافَة أخوه، وضحك لذلك، لكنّ الأم صالحه قالت بنبرةٍ مستغربة:

- هل تودّ الزواج حقًا؟؟ هل اقتنعت أخيرًا بأبنة أخي رغد؟؟

- أمي فهد يكذب!!

ضحك فهد وقال:

- أخبرني قبل قليل أنه يودّ الزواج من رغد...

ثم ناظر عيسى، وغمز قائلًا:

- عيسى بتّ كبيرًا بما يكفي، متى ستخطب رغد؟؟

أخذت الأم صالحة هاتفها، وقالت:

- سأتصل على أخي أحمد أخبره بالموضوع...

هرعَ عيسى إلى أمه، وأخذ الهاتف من يدها، ثم قال:

- والله فهد يكذب!! لا تصدقين.....

فرأى أرامينتا، وقال:

- أبنته هنا، لا أستطيع أن أكمل.

همهم فهد ساخرًا، وقال:

- إن تحدثت عني بسوء ستضربك أرامينتا.

نهضت أرامينتا من جدتها، واتجهت إلى عمها عيسى، وقالت:

- عمي أحبك، لكن أحب أبي أكثر، سأضربك إن قلت شيئًا سيئًا عنه.

حملها عيسى، وقبّلها، ثم قال وهي بين ذراعيه:

- أنتِ الوحيدة التي تستطيع أن تضربني، لكِ الحق في ذلك...

فقالت أرامينتا لأبيها:

- بابا لماذا جسمك لا يكون قويًا نفس عمي عيسى؟

ضحك فهد ضحكةً عريضةً، وقال:

- أمكِ تمنعني من ذلك، تحبّ بطني ممتلئًا لأنها تغار علي، أما عمكِ غير متزوج وعمره في منتصف الثلاثين يفعل ما يريده بنفسه، أخبري أمكِ أنكِ تودين أن يكون جسم أبوكِ قويًا لأتدرب وأصبح أقوى من عمكِ.

اعترضت حديثهم الأم صالحة قائلة:

- عيسى متى تتزوج؟ هل أخبر أخي عن رغد؟

وضع عيسى أرامينتا على الأرض بتريّث، ثم مشى إلى أمه، ومسك يدها التي ينغرس فيها أنبوب الدواء، فقبّلها، وقال:

- عندما تخرجين من المستشفى بإذن الله، سأتزوج، وهذه ستكون هديتي لكِ.

الابتسامة أمي
وجمال الحياة، أمي..
وكل مصيبة تعصف بقلبي، أراها تتبخّر في حضن أمي..
ولو أن ملامحي شهبت يومًا؟
فليعلم الجميع أن أمي ليست بخير.

اهتزّت الأيام في بعضها اهتزازًا وتسارعت في المضي دون مخالة أن يتغلغل المرض في جسد الأم صالحة، وتعجّلت عجلة الشهور في الاندفاع بلا تمنّع أن تنصبّ العافية في جسدها وحدث ذلك بعد أن اجتمع الدكتور راميش بالأخوين وأخبرهما بعجز الطاقم الطبي عن إيجاد حل في ظل تكدّس الأمراض بجسد والدتهما، وابتغى بذلك أن يفهمان فهمًا مؤسفًا أن والدتهما تواجه الخطر لوحدها بعد عجز التدخّل الطبي في ذلك، وقال في النهاية بعد أن كان وجهه شاحبًا وهو يخبرهما بكل التفاصيل:

- كل شيء بيد الله، أنا في خوف أن التدخل الطبي يدمر ماما ويتفاقم كل مرض فيها...

لم يتماسك فهد دموعه وخرّ في مكانه يستدمع قهرًا... قال:

- وهل سنشاهد أمي تموت يا دكتور؟ أيعقل ذلك؟

مسك عيسى أخوه من كتفه وشدّ عليه، كانا يقوّيان بعضهما ببعض دائمًا، وجسّدها كل مفهوم من مفاهيم أن يكون الأخ سندًا لأخيه، فقال وهو يحرّك فهد ويعيد له بعضًا من الأمل المفقود:

- سأباشر في عمل أوراق أمي للعلاج في فرنسا، هناك مستشفى شاهدت عليه الكثير من المدح...

قال الدكتور راميش:

- مستشفى غوستاف روسي؟

فقال عيسى:

- أجل...

لم يحبّ الدكتور أن يُتلف الأمل فيهما، فاعتزم الصمت، ثم قام من مكتبه وقال بنبرة تملؤها الشجن:

- أنا يروح حق مريض، مع السلامة...

نهض عيسى وقال:

- دكتور هل ستجلس أمي في المستشفى إلى أن نخرج لها الموافقة؟

رفع الدكتور كلتا يديه ملمحًا إلى الاطمئنان، وقال:

- ما في خوف من هذا، ماما بالمستشفى إلى الموافقة، والعلاج ما يوقف، ما في خوف، يمكن اللّه يسوي داخل سليم.

***

لم تزل أرامينتا في صبابتها الأولى بقلبها الذي يكبر في عيون جدتها والحياة، وشاءت مثلما يشاؤوا المحبين في لُقيا العشّاق، فما لبثت إلا بين المدرسة وحضن جدتها، حتى أنها نست طفولتها، ودميتها التي كانت تحبها وتنام بجانبها، فلم يعد للعب مجالًا في يومها، وسكنت

مفهوم أن الأجداد هُم الأمان، ووجودهم قوّة تنبثق في جدران أرواح الأحفاد.

كانت الجدة «صالحة» تكحّ وتسعل، ويستمر خريفها بالذبول، فتكسّرت أغصانها، وتفتت أوراقها منبعثة في كل أرضٍ أخذت من عمرها ما أخذته السنين، وذهبت أراميننا إلى الممرض فأتت به إلى جدتها، وأعطاها شرابًا يخفف من حدة ألم صدرها، ثم أطمئن بخِفّة وسار في نفسه سير العابرين...

قالت أراميننا:

- جدتي هل أنتِ بخير؟

أشارت الجدة بيدها اليمين أن تقترب أراميننا إليها، فاقتربت وأخذتها في حضنها قائلة:

- كم صار عمركِ حبيبتي؟

- بعد سبع شهور أكمل التاسعة من عمري...

استدمعت الجدة صالحة، وذوت ملامحها تاعسه، وسكن الشقاء أضلعها، فما لبثت في ذلك حتى بادلتها أراميننا الدموع وهي تقول بنبرة جاهشة:

- جدتي لماذا تبكين؟؟

قالت الجدة وقد تمكّنت منها الحسرة:

- حبيبتي، أشعر بأنني لن أراكِ تكبرين...

فقالت أراميننا وهي تصرّخ في دموعها:

- لماذا!! لا أريد ذلك، أريدك أن تزوجينني مثلما اتفقنا عندما أكبر!

ضحكت الجدة في أوج بكاءها، وقالت مُمازحة حفيدتها:

- وهل أنتِ مستعجلة على الزواج يا شقية؟

خارت طفولة أراميننا فلم تسمع حوارًا يجعلها باسمة ناسية كُل البأس الذي يحتل قلب جدتها، وانهلّت بالعناق الطويل حتى دخلا فهد وعيسى إلى الغرفة ورأيهما يبكيان...

استغربا لذلك وخافا من المجهول، فقال عيسى متوترًا:

- ماذا حدث؟؟؟

وشوشت الجدة صالحة لحفيدتها قائلة:

- لا تخبريهما.

ثم قالت لأبنيها:

- مشاعر الجدة والحفيدة، لماذا لم تطرقا الباب؟

قلبها يُشبه غيم الربيع

لم يخلق الله المرأة حتى يراها المجتمع ضعيفة، خلقها سبحانه سندًا وأمانًا وقدوةً للبشرية أجمع.

استعمرت الأيام وتهجّدت في شتاء الكونِ راغبةً أن يهطل مطرًا يزيح عن الأم صالحة بعضًا من التعب، لكنّ مشيئة الله وحكمته في كل ما يحدث للناس كانت عمودًا لجعل الحسنات تلتفّ حولها من ألمها الذي بات لا يُحتمل.

وقف قلبها مرة بجهل عائلتها في منتصف الليل، وأخذوا الأطباء يصعقونها بالكهرباء حتى أعادوا للقلب نبضًا ضئيلًا لا يكاد يذكر، ووقف مرة ثانية فألقى دكتور يدعى «عماد» الصاعق في جسدها مرارًا إلى أن عاد ينبض نبضًا فاترًا في أثناء دخول الأم صالة بغيبوبة لا يعلم ما وراءها إلا من وضعها بهذا الوضع سبحانه، فأتجه ممرضًا إلى الهاتف، وأتصل على فهد وكان الفجر حالكًا، فردّ فهد نائمًا...

قال له الممرض:

- أريدك أن تأتي أنت وكل أفراد عائلتكم الآن، وضع والدتك بخطر.

كان يعلم الممرض أن الأمر بات وشيكًا، وأن المؤشرات لا تجلب له تحسين الكلام، فهرع فهد ناهضًا واتصل على عيسى مراتٍ عديدة حتى أجاب، فأخبره بذلك، وسمعت زوجته مريم الحوار فقامت من مكانها باكية، وقالت:

- هل نترك الأولاد وحدهم؟

جهر فهد بصوته غاضبًا:

- تصرفي يا مريم!!

لم تستطع أن تفكر وذهبت إلى أولادها جميعًا تخبرهم أن يذهبوا معهما إلى جدتهم...

فتحت أراميتا عيونها هلعة، وقالت:

- ما بها جدتي!!!

قالت أمها:

- هي بخير حبيبتي لا تقلقي.

أعوت أراميتا وصاحت في فراشها، ثم قامت مسرعة تغيّر ثيابها ونزلت وقد أحتلّت الدموع جميعها، وهي التي أفنت عمرها على حبّ جدتها وكأنها لا تملك في الحياة غيرها.

***

لم يستعجلوا في أمر أكثر من استعجالهم في الوصول إلى المستشفى بعد أن أوى فهد وأخوه في بئر الاستغاثة ألا يكون الأمر خطرًا مثلما كانا يعتقدان!

هرولوا جميعًا إلى الطابق الأول بعد أن وصلوا، وكان في خارج الغرفة ثلاث ممرضات يجتمع بهنّ الدكتور

عماد، وما إن رآهم حتى أشحبت ملامحه، وأخذ الأخوين على انفراد ثم قال:

- هذا قدر الله وحكمته، تهالك جسم أمكما فجأة وحاولنا أن نعيدها للحياة مرتين، لكن قلبها لم يعد يحتمل، هو لا زال ينبض لكننا نتوقع أن يتوقف خلال دقائق، اجتمعوا فيها، قبّلوها، وادعوا لها جميعكم، قبل أن تفارق الحياة كليًا، هي الآن مُغيّبة عن واقعنا، وتسبح في عالم لا نعرفه، اذهبوا لها.

تعالى صوت الصدى في المسامع، وتحلّب الأمل في القلوب، فما عادت الصدور تتّسع للجنازة، وما عاد الدم يمشي في العروق، أست الطيور القابعة وسط المطالب، وماتت في حضرة الأمنيات، ودخلوا جميعًا إلى الغرفة، فوجدوا ممرضةً تستعدّ لرحيل «صالحة» وتمسح كعبيها بمنشفة قطنية بيضاء، وجرت أراميننا منهلّه هلعة ضائعة، فقالت وقد سالت دموعها على خدّ جدتها الأصفر من قِلةّ حيلة الدماء واستصعاب القلب أن يروي الشرايين:

- لا ترحلي لا ترحلي لا ترحلي!!!

فأتاها أبوها من خلفها وحملها باكيًا، وعانقها عناقًا كانت تودّ لو أن جدتها هي التي تعانقها بتلك الشدّة...

ثم انسكب عيسى على أمه كأنه يودّ لو أن الزمن يعود، وتعود أمه في شبابها تنتظره أن يَقدِم من المدرسة

فتتلهف لرؤيته وتحضّر له كل طيّب من طيبات الطعام، لكنه وعى أنها اللحظة الأخيرة في الحياة، وأن أمه ما عادت تلك الشابة، فبدا يعول ويصيح حتى تبللت لحيته وهو يقبّل أمه دون حسبان...

وضع فهد أبنته وذهب لأخيه، وكان هو الثابت بينهم جميعًا، لكنّ ذلك لم يمنعه من البكاء، لأنه يعلم أن أمه تفارق الحياة بين عيونه وهو عاجز، فقال لعيسى:

- أخي.. أخي...

ثم مسك وجه عيسى وكانت ملامحه منهزمة، فضرب خدّه بكفّه، وقال:

- هذا قدر الله، وهذا ما نحن جميعًا سنمرّ فيه، أمي تحتاجنا بالدعاء والصدقة، أبكي لأن البكاء يطهّر القلوب، لكن لا تنهزم يا أخي، عائلتنا باقية، أمي باقية، أبي باقٍ، أختي باقيه، يُخبئ الله لنا مكانًا أفضل نجتمع فيه، أثبت يا أخي...

ثم ترك وجه عيسى، وقال:

- عانقها، هي تشعر بك.

وما لبث عيسى في عناقه هذا حتى صفّر جهاز النبض يشير إلى توقّف القلب عن العمل، فصرخت أرامينتا قائلة:

- كنان!!!

دخل الدكتور عماد لأن الجهاز مرتبط معهم، وما إن

فتح الباب حتى سمع تلك الطفلة تصرخ ووقعت عينه على تخطيط القلب فانصعق ممّا يحصل وقال منبهرًا:

- كيف؟ كيف؟؟؟

عاد النبض طبيعيًا كومضةٍ مستحيلةٍ تدفّقت في عنان السماء، كشهابٍ مرّ دون أن يضر، وسقطت أرامينتا من شدّة صرختها وباتت في حالة إغماء، كأنها أهدت نبضات قلبها لجدتها وسقطت، فركض أبوها إليها، وحملها وهو ينعر قائلًا:

- أسعفوها!!!

تألّقي في حضورك
أنتِ من يستحق التألّق.!

فتحت أرامينتا عيونها بعد ساعة كاملة من الإغماء، ورأت أمها مريم جالسة بجانبها تضع يدها على رأسها وتقرأ عليها ما تيسر من القرآن، فقالت:

- هل جدتي بخير؟ رأيت في المنام أنها ماتت!

تبسّمت لها أمها، ثم قالت وهي تمسح على شعرها:

- حبيبتي أنتِ، ارتاحي جدتكِ بخير وعاد قلبها ينبض من جديد الحمد لله...

- إذًا ما رأيته لم يكن حلمًا!!

- لا، وأغمى عليكِ بعد أن ظهر في الجهاز أن قلبها توقف، لكن بشكل أبهر حتى الطاقم الطبي بعد أن عاد قلبها ينبض نبضًا طبيعيًا وكأنه لم يتعب ويتوقف، ويقولون الأطباء أن النبض إن استمر اليوم كاملًا على وضعه يتوقعون أن تفتح عينها في أي لحظة.

فتح فهد الباب، ورأى أبنته قد عادت إلى وعيها، ففرح فرحًا كبيرًا وقال:

- الحمد لله على سلامتكِ يا حبيبة قلب أبوها!

ثم رأى زوجته مريم وعيونه تدمع سعادةً، وكان وجهه مندهشًا مما يعيشه حين قال وصوته يعجّ بالبشرى:

- فتحت أمي عيونها!

انتفضت أرامينتا من مكانها وقالت:

- أريد أن أراها!!

فقال أبيها:

- لم نستطع نحن أن ندخل عليها، الأطباء حولها يريدون أن يطمئنوا عليها بشكل كامل ويفحصونها بشتى أنواع الفحوصات قبل أن يعطوننا أذن الدخول عليها!

قالت مريم:

- كأنني ما أعيشه حلم يا فهد! كيف حدث كل ذلك!
- لا أريد شيئًا سوى أن أطمئن عليها، ثم سأعيد شريط كل ما حدث!

***

ارتدت الشمس ثوبها الأول وتغطّت السماء بالغيوم المتفرقة، ولا زالت العائلة تنتظر الأمل الذي انقطع حبله وضمّدته أراميـنتا من حيث لا يعلمون، وكانت الغرابة تشتدّ حين لم ينشد أحدًا أراميـنتا على ما قالته في صرختها تلك، بل كأن شيئًا حكيمًا أطبق على آذانهم فلم يسمعوا...

ونست أراميـنتا نفسها ذلك الحدث المهيب، كأن ما وقع لم يكن كائن داخل الغرفة، كأنه حَبَا بين البكاء متخفيًا، وتاه مع الدامعين.

طرق الباب الدكتور طرقةً خفيفةً، فانقضّا من مكانهما فهد وعيسى، واستأذنهما في الحديث الخاص، فوقعا في نفس المستنقع المريب...

قال:

- أريد أن أطمئنكم قبل كل شيء أن والدتكما بشكل إعجازيّ بخير، وأن كل الفحوصات والتحاليل قد ظهرت كأنها إنسانة لم تمر بأزمة قلبية قاتلة، لي في هذا المكان أكثر من عشرون عامًا ولم أشهد حالةً واحدةً مثل حالة والدتكما، وهي بالطبع حالة نادرة لا يكاد أن يصدّقها العقل، لكن هذا لا يعني أنها شُفيت من المرض لأنه لا زال موجودًا لكنني الآن أتحدث معكما عن الأزمة التي مرت بها.

حَمَدَ فهد ربه حمدًا كثيرًا قبل أن يقول:

- والآن أين هي؟

بَسَمَ الدكتور وقال:

- هي في الغرفة تنتظر عائلتنا.

اتّسعت بؤرة العيون، وذهبا يخبران كل من في الغرفة، ثم هرولوا جميعًا إلى الأم صالحة، فوقف فهد عند الباب وقال:

- لعلها مُتعبة، لا نريد أن نتعبها أكثر بالبكاء، لنكن أكثر حرصًا في هذا الأمر...

ثم نزلت عيونه على طفلته، وقال:

- أراميتا حبيبتي، اتفقنا؟

فقالت والبهجة تسكنها:

- اتفقنا!

فدخل فهد أولًا وفور أن رأى أمه تناظره ببشاشة خرّ باكية ومشى إليها حتى وقع على قدميها يقبّلهما، وسقط كل ثباتٍ كان يودّه من عائلته قبل نفسه، فشاهدهم يبكون جميعًا ويتجمعون حول الأم صالحة، حتى سمعوا صوتها وهي تقول بهشاشة:

- أرامينتا تعالي حبيبتي...

كانت أرامينتا واقفة عند الباب وهي تجهش بالبكاء، غير مستوعبة أن جدتها قد عاشت من جديد، وكتب الله لها عمرًا إضافيًا، فما أتّسع المكان في نظراتها الضائعة بالدموع، وتهادت ببطء تخطو حتى وصلت ووضعت رأسها على صدر جدتها تودّ أن تسمع قلبها، فسمعت نبضها، وقالت:

- لا ترحلي مرة ثانية!

قال عيسى بعد أن مسح دموعه بأكمام ثيابه كعادته وهو يشاغب أمه دائمًا:

- تألقي في حضوركِ دائمًا يا أم فهد، أنتِ من يستحق التألق!

-ليست النهاية-

تهادت الأيام كقطرات الندى على القلوب، فلم يستدل الستار الأخير، وانطوت صفحةً كان وقعها صعبًا لو أن الأم صالحة لم تعُد للحياة، وكانت أرامينتا تذهب إلى المدرسة مجبرةً رغم إصرارها أن تبقَ عند جدتها دائمًا، بل أنها عادت إلى عوائدها القديمة بعد أن تنقضي الساعات تذهب مباشرةً بثياب المدرسة إلى حبها الأول، إلى مأواها الدافئ، وجمال وجودها وأمانها، إلى جدتها، فتقبّلها بشدّة، وتحنّ العجوز لحفيدتها، فتقول:

- صغيرتي سأخبركِ أمرًا.

لكنّ أرامينتا ترفض دومًا أن تتحدث جدتها لأنها تعلم ماذا ستقول، فتردد دائمًا:

- لا أريدكِ أن تخبريني أمرًا، أريدكِ أن تكوني معي فقط...

وضعت الجدة صالحة يدها على شعر أرامينتا، وبدأت تغرس أصابعها بين خصلات شعرها، وقالت:

- لابد أن أخبركِ بذلك، عندما تكبرين سيكون شأنكِ عظيمًا يا أرامينتا، ومنذ أن أشرقت شمسكِ علمت أنكِ مختلفة عن بقية البشر أجمع، لعل الله أحياني من جديد كي أخبركِ أنني سعيت على حمايتكِ حتى بعد أن أموت، لكن ستواجهين بعض العقبات وحدكِ، وبعض الألغاز، لعل كلامي حاليًا وأنتِ في هذا العمر

لا تفهمينه جيدًا، لكنني أريدكِ أن تحفظيه لتفهمي كل شيء عندما تكبرين حبيبتي، ستحصل ثلاثة أمور لكِ، وستأتيكِ على مراحل ثلاثة، تجاوزيهم، ولا تفكري أبدًا بالرجوع، وعندما يحين وقتهم؟ تذكري هذه الجلسة وأنا ألعب بشعركِ، لا تتراجعي أبدًا حبيبتي، سأحبكِ غائبةً كنت أو حاضرة، سأكون سندكِ في كل وقت، لا تخافي من أيّ شأنٍ من شؤون الدنيا، فكلّ شيء عند الله هيّن... تعالي يا حبيبة قلبي أريد أن أعانقكِ.

كانت أراميتا تسمعها وهي تشهق في بكاءها، فقامت بعد أن كانت تتكئ على صدر جدتها وعانقتها عناقًا شديدًا، ثم تهادت أيدي جدتها من عليها، فقالت أراميتا:

- لابدّ أن ترتاحي وتنامي جدتي، أنا سأجلس بجانبكِ ريثما يأتي أبي...

لم تسمع جوابًا من جدتها لأنها نامت، فنهضت أراميتا من ذلك العناق، فتصلّبت في مكانها مُقشعرةً مما تراه!!

رأت عيون جدتها مفتوحة وفمها مفتوح وكان النفس قد أنقطع منها دون إدراك من تلك الصغيرة، فهلّت صارخة بين الجدران، ثم ركضت إلى الخارج وهي تدوي وتنادي حتى تجمّع كل الممرضين في الجناح عليها وهلعوا إلى الجدة وسعوا في إسعافها لكنها هذه المرة قد نامت إلى

يوم يُبعثون بعد أن شاهدت أراميننا الدقائق تدور وأخذوا الممرضين يسجلون ساعة الوفاة...

كانت واقفة برداء المدرسة، وتراهم والصدى يستعمر مسمعها، فلم تبكي بعد أن شاهدتهم يغطّون وجهها، وكان هناك دكتورًا يقول:

- يا فتاة أين أهلكِ؟

لم تكن قادرة على أن تسمعه، وكانت جلّ نظراتها تقع على أحوال جدتها الأخيرة، وما لبثت في ذلك حتى تدفّق الدمع تدفقًا شديدًا في عيونها، وبكت بكل جوارحها وهي تنادي جدتها من أعلى صوتها، لكنها استوعبت أن اللحظة قد حانت، فسقطت أرضًا دون أن تفهم سبب سقوطها، كأنها تُريد أن تسبح في فضاء ما ذهبت إليه جدتها، وكانت تردد ولعابها يسقط على الأرض:

- لا أريدني وحدي، دون أن أراكِ!!!!

«أريدنا جسدًا واحدًا
في الأرض والفضاء»

أقـام الحـزن عـزاءه فـي عائلـة الجـدة صالحـة، وأقبـل المعزيـن يوميـن متتاليـن ينعـون الفقيـدة التـي عاشـت ألمًـا فـي حياتهـا وصبـرًا لـم يكـن لقلـبٍ آخـر أن يتحملـه، وكان الأشـدّ تأثـرًا مـن الرجـال عيسـى، ذلـك الـذي سـخّر عمـره لأن يكـون بجانـب والدتـه، بـل أنـه رفـض الـزواج خوفًـا أن يهملهـا، فنسـى نفسـه فـي سـبيل النجـاة بأمـه، وكان العـزاء فـي منزلهـم، والشـمس شـارفت عـن المغيـب، فخلـى المكان مـن المعزيـن، وانتشـروا النـاس فـي مواعيدهـم وانشـغالاتهم، وكان فهـد وعيسـى خـارج المنـزل يتذكـران فقيـدة قلبهمـا حتـى وجـدا سـيارة ضخمـةٍ تركـن عنـد منزلهمـا، ونـزل السـائق وفتـح البـاب الخلفـي، فتمعّنـا بالرجـل حتـى وجـداه عمّهمـا، وبـدلًا مـن أن يرحبـا فيـه قـال فهـد:

- لا أهـلًا ولا سهـلًا بك!

ثم أقسى عيسى الكلام عليه قائلًا:

- واللّه لـو كانـت أمـي بيننـا لـم تكـن تريـدك أن تأتـي إلـى عزاءهـا!

كان عمهمـا طاعنًـا فـي السـن، وهـو الأكبـر بيـن أعمامهـم ويدعـى «سـعد»، فاقتـرب منهمـا بتـروٍ مـع عكازتـه، ثـم قـال لهمـا:

- ما مضى قد مضى يا أبناء أخي و......

أحمرّت عيون فهد غضبًا وقال بنبرة عالية:

- ما مضى قد مضى؟ كيف لك الجرأة أن تقول أبناء أخي وأنت من غدرت بأبي ولم تلحق بمن قتله!!!

زئر عيسى بوجه عمه:

- عفونا عنك لأننا نعلم لو كان أبي حيًا لعفا عنك! لكن هذا لا يمنع بأنك خصيمنا يوم القيامة، والله لن نتنازل عن حقّ أنك كنت ترى أمي تبكي وهي تحمل أبي بين ذراعيها والدماء يحتلّ جسده!

قال عمهما بحزن وقد كان وجهه شاحبًا:

- أبناء أخي، أنا أصبت بالسرطان، وأتيت اليوم لأعزيكما في أمكما وأطلب منكما العفو عني، في ذلك الوقت عندما رأيت أبوكما ساقطًا تشنجّت في مكاني وكأن سلاسًلا قد كبّلتني فلم استطع الحركة، وكانت أمكما تخبرني أن القاتل هرب من الاتجاه اليمين لكنني عجزت عن الحركة وأنا أرى أخي مقتولًا أمام عيني!!

تلفّت فهد يمنةً ويسرى والدموع تسقط من عيونه كما يسقط الماء من الشلال، ثم قال:

- لم تذكرنا بعد أن عفونا عنك مرةً واحدةً، ولم تخاف أن ينقصنا شيء أو أن نضيع من بعد أبي، كان عمّى «حمود» هو الذي يسأل دائمًا قبل أن يأخذ الله أمانته، أما أنت؟ فوجودك في الحياة مثل عدمه، لا نريدك أن تعزينا في وفاة أمي يا عمي، ولو كان لك حقّ في الدنيا

ستأخذه في الآخرة، أما نحن فلن نقف أمامك مرة أخرى إلا في يوم الحساب، والله لن ننسى ذلك أبدًا.

ثم مسك فهد ذراع أخوه ودخلا إلى المنزل منفعلان لكنهما صمتا حبًا واحترامًا لأبويهما رحمهما الله.

اكتبني أو أنثرني
لكن لا تتركني

من لم يكن مؤمنًا بأن الله أرحم الراحمين، عاش في الحياة مهمومًا يتخبّط بالأيام دون أن يفهم فهمًا قطعيًا أن الله بيده كل شيء.

لبثت أرامينتا في مجثم الاكتئاب وكأنما حملت سنينًا كثيرة على عاتقها وهي التي لم تعش أكثر من أصابع اليدين، بل أن شوقها كان يقودها شهرًا كاملًا لرمي الأسئلة على أبويها، فتقول: أين هي جدتي الآن؟

ويأسى أبويها عليها، ليردّ أبوها قائلًا:

- تخيلي معي حبيبتي أمرًا...

- ما هو؟

- هي الآن عند الله سبحانه وتعالى الذي يحبها أكثر مني ومنكِ!

بكت بكاءً دون عويل، وقالت:

- لكنني اشتقت لأن أراها وأتحدث معها...

ثم اختنق صوتها من دموعها، وعادت تقول:

- كل يوم أنزل إلى غرفتها وأتحدث عند مقعدها لعلها تسمعني وتجيب، أخبرتني في يومها الأخير أنها حتى عندما تموت فهي معي، مرّت الأيام لكنني لم أجدها يا أبي!

بكى أبوها ونزل يعانقها، واقتربت أمها مريم منهما ومسحت على ظهورهما، وقالت:

- تعالي حبيبتي نامي معي اليوم...

قالت أرامينتا بعد أن انتصبت في مكانها:

- أريد أن أنام بغرفتي.

فذهبت إلى غرفتها تخطو وهي لا تعرف في نفسها أمرًا سوى الوله على من ماتت وتركتها...

أغمضت عيونها وهي تدمع وتتخيّل أن جدتها موجودة، فسمعت صوتًا يهمس في أذنها اليسار، فتحت عيونها فورًا ووجدت ظلًا يهرب نحو ممر الباب، ارتعبت وأزالت اللحاف منها وركضت خلفه لكنها أضاعته ولم تعرف من كان فذهبت إلى غرفة أبويها تريد أن تستفسر، وما إن فتح أبوها الباب نائمًا إذ قالت:

- هل أتيت إلى غرفتي؟

- حبيبتي أنا وأمكِ نائمان، ربما أخوتكِ فارس أو عيسى...

ذهبت إلى غرفة أخوتها، فوجدتهما نائمان أيضًا، وخُيّل لها أن ما رأته لم يكن واقعًا فعادت إلى فراشها وأغمضت عيونها تنتظر أن يحدث مثل ذلك، لكنّها تأكدت أن الأمر كان مجرد خيالًا بعد دقائق محدودة، وأخذها النوم إليه وسبحت في فضاءه.

مهما أشفقت على نفسك، وشتمت موقفًا عابرًا نسيته فيما بعد، لا تسقط!

مهما حنا رأسك، وعانقك الحزن عناقًا كُنت تعتقد أنه أبديًا، لا تسقط!

مهما رأيت همومًا جعلتك تعتقد أنك لا تستطيع تحملها، لا تسقط!

مهما كُنت ضعيفًا، وكانت ثقتك باللّه تعلو في قلبك، فأنت أقوى مما تظن...

لعل اللّه وضعك في هذا الاختبار ليرى كيف تتجاوزه فيُهديك حياةً مطمئنة لم تكن تحلم بها أبدًا.

الثقة في اللّه تصنع المعجزات، تصنع الأحلام، تصنع كل ما كنت تعتقد أنه مستحيل.!

الثقة في اللّه تعني أنك على يقين أن اللّه يعلم بكل ما يدور بك، وأنك تعلم بما وعد اللّه به عباده الصالحين فينغرس في قلبك يقينًا أن اللّه سيُصلح كل ما تم إفساده بقدرته سبحانه وتعالى.

نزلت أراميتا إلى غرفة جدتها ووجدت عمها عيسى جالسًا يفتش في أوراق جدتها، فرأها وابتسم لها ابتسامةً حزينةً، ثم قال:

- أتعلمين اليوم يصادف ماذا؟

تلألأت عيون أراميننا وقالت:

- مرور عام على وفاة جدتي...

نهض عيسى من جلوسه وأفرد ذراعيه لأبنة أخيه، فأتته كعصفورةٍ طائرةٍ تسبح في هواء الاكتئاب، وعانقته قائلة:

- عمي هل لا زلت تحبها؟

قال:

- منذ زواجي قبل شهر وأنا متمسّك وثابت في ذلك حبيبتي، كل يوم يأخذني حنيني إلى هنا، وعلّمت زوجتي «أمل» حبّ أمي....

ثم مسك خدّيها بتحنّن، وقال:

- أنا أعلم أنكِ تحبينها جدًا، وبالنسبة لي هذا الحب غريب، لأنني لم أشهده طيلة حياتي من أحد، لكن أريدكِ أن تعدنني أنكِ لن تنسيها في دعائكِ حتى عندما تكبرين حبيبتي....

أتت زوجته أمل بحثًا عنه، ورأته يتحدث مع أراميننا، فقالت:

- مرحبًا حبيبتي!

ذهبت إليها أراميننا وسلمت عليها، فقالت أمل:

- أخبرني عمكِ أنكِ أكثر واحدةً تحبين الأم صالحة رحمها الله، وأخبرني أيضًا كيف كانت جدتكِ تحبكِ جدًا.

حزنت أرامينتا لذلك وأتّضح ذلك عليها، فلم تستطع أن تقبض نفسها ودارت نحو الباب ثم قالت وهي تمشي:

- أريد أن أنام.

مسك عيسى زوجته من يدها، ثم همس قائلًا بعد أن رحلت أرامينتا:

- أنتِ لم تشهدي علاقتهما، لا تلوميها على هذا التصرف.

***

أوت أرامينتا إلى فراشها وما قطنت تقلّب الصور على هاتفها بذكرياتها وهي بصحبة جدتها حتى أستقرّ النعاس على جفونها، فأغمضت عيونها لكنها في كل مرة تُغمضهما تشعر بذلك الشعور الذي حصل معها قبل عام!

هذه المرة لم تفتح عيونها وحاولت جاهدةً أن تسمع ما تسمعه من حديثٍ مشوّش، فلبثت خمس دقائق، وعجزت عن أن تفهم شيئًا بعد أن ضربها الذعر الذي جعلها تفتح عيونها كومض البرق وشاهدت ذلك الظلّ يهرب من جديد، حاولت أن تلحقه لكنها اختفى، وأسكنت هذه المرة هذا الأمر في صدرها لم تخبر أيًا كان عما يحدث، ثم أغمضت عيونها مرة أخرى لكن النوم غلبها.

الأوفياء لا يبهت وفاءهم مع مرور السنين

- كم مرةٍ شاهدتي الظلّ يختبئ؟
- مراتٍ عديدة، لا أستطيع أن أحسب لك ذلك.

أوى الدكتور -محسن- على ورقته يسجّل بأريحية، ثم نزع نظارته الطبية ذات الإطار العاجي وألقى بنظرات تملؤها الطمأنينة على أرامينتا، ثم قال:

- أتستطيعين أن تتذكري متى أول مرة أتاكِ؟

أخذت أرامينتا نفسًا عميقًا مثلما يأخذه من أُثبِتَ سكينًا في صدره، وقالت:

- بعد أن ماتت جدتي، قبل حوالي عشر أعوام.

كتب الدكتور محسن أمرًا وقال فورًا:

- عندما كنتِ تبلغين التاسعة من عمركِ؟

قالتْ وهي تلعب بأصابعها متوترة:

- أجل.

فقال:

- ألا تعتقدين بأن الأمر الذي مررتِ به كان نتيجة وفاة جدتكِ رحمها الله؟
- وهل النتيجة تلك تستمر إلى أن بتّ في عمر التاسعة عشر؟

أخرج الدكتور من مكتبه في الجرارة الأولى حبلًا مطاطيًا لونه أحمر، وبدأ يمطّ به ويقول:

- أرامينتا، هذه أول جلسة لي معكِ، ولا تستغربي من أيّ تصرف أو سؤال، لأنني أريد أن أعرفكِ تمامًا قبل أن

أعطيكِ حلولاً، وثقي بمن تحبين أن تثقين فيه دائمًا أن وجودكِ وثقتكِ بالدكتور محسن هو أعظم وسام يتسلح به ويعتزم في ذلك أن يجعلك أنثى أفضل نفسيًا وعمليًا...

قالت وهي تبتسم له:

- دكتور أنا أعلم أنك أفضل دكتور نفسي موجود، ولهذا أنا معك اليوم...

قال لها:

- أخبريني عن مخاوفكِ؟

قالت:

- أنا أعلم بأن الجميع يراني غريبة، وانطوائية، لأنني كذلك، أنا عشت وكبرت مع كائن مجهول لا أعرف من هو، جعلني أمرّ باضطرابات نفسية، أخذتني أمي عند مشايخ يقرأون القرآن، لا أكذب عندما أقول بأن الموضوع لم يتغير، لكنه بهت لفترة ثم عاد بقوة، لم أعد بمقدوري أن أذهب للجامعة، وبتّ دائمًا ما أكره الذهاب للنوم، أنظر إلى عيني، ستجد السواد يكسوهما بسبب قلة النوم من ذات السبب الذي أخبرتك به، لا أريد شيئًا من الحياة سوى أن يرحل عني الظل وأعيش مطمئنة.

قال الدكتور محسن:

- خـذي الحبـل المطاطـيّ هـذا، وكلمـا شـعرتِ أنـه سيأتي ألعبـي بـه وشـاهدي لونـه بعمـق وهـو يتحـرك، وفـي الجلسـة القادمـة سـأخبركِ ببعـض الأشـياء التـي ستسـاعدكِ، وأنـتِ فـورًا أخبرينـي مـاذا سـيحدث عندمـا يأتـي وتلعبيـن فـي الحبـل، هـل نحـن متفقـان؟

قالت أرامينتا:

- وأنا في الفراش؟

فقال الدكتور محسن:

- أجـل بالطبـع، لا تلحقـي وراءه، وأنـتِ فـي الفـراش ألعبـي بالحبـل، ثـم أخبرينـي مـاذا حـدث.

***

أدركـت أرامينتـا بعـد أن وضـع الليـل أعمدتـه وشـدّت الحبـال سـاعاته المتأخـرة أمـرًا فـي صدرهـا أن المنجـاة سـيكون حبـلًا مطاطيًـا ذات اللـون الأحمـر!

اسـتقلت علـى فراشـها ووضعـت الحبـل علـى الطاولـة الصغيـرة السـوداء التـي بجانبهـا، ثـم أغمضـت عينيهـا وأخـذت تهيـم فـي درجـات النـوم الأولـى إلـى أن حـدث فـي جانبهـا أمـرًا وسـمعت صوتًـا ضئيـلًا، فانتفضـت فـي فراشـها وفتحـت عيونهـا ووجـدت أن الحبـل المطاطـيّ قـد اختفـى!!

فتحت الإنارة وهي تبحث عنه في أجزاء الفراش، فلم تجد له أثرًا، وأسرعت إلى ذاكرتها وهي التي لا يغيب عنها ما يغيب عن العالمين، ثم قامت من سريرها واتجهت نحو الممر الذي يختفي فيه الظلّ دائمًا، وانصعقت بعد أن وجدت أن الحبل المطاطيّ مُلقى في الممر دون حولٍ له ولا قوة...

أخذته وطوّقته بمعصمها أربع مراتٍ حتى يشتدّ عليها، ثم عادت إلى فراشها فرحةً كأنها انتصرت بهذا الحبل، وانتشت بعد أن وجدته في الممر اعتقادًا منها أنه الحل لكل الكوابيس التي عاشتها طِوال حياتها، وأن الظلّ يخاف من هذا الحبل!

استلقت مرة أخرى، وكبّلت نفسها باللحاف، ثم حاولت أن تنام نومًا عميقًا بعد أن اطمئن قلبها، لكنها بمجرد أن أطبقت رموشها سمعت الصوت يوشوش لها بأذنها اليسار مجددًا، لم تصبر عليه أبدًا، وفتحت عيونها مثلما يلمح الصقر فريسته، لكنها وجدته يهرب مثلما يفعل دائمًا، فغضبت وقالت:

- كعادتك تهرب أيها جبان!!

ثم بكت بحسرة على هلوساتها التي قادتها إلى أن يعتقد كلّ من يعرفها أن عقلها ليس فيها، ونامت على ذلك!

لو كان يعلم كم وددّت أن أكون ظلّهُ!

في اليوم التالي...

الساعة الرابعة عصرًا

4:09

ذهبت أرامينتا إلى الدكتور محسن هائمةً بجبال أفكارها، بعد أن أخبرت أمها بذلك، وكانت تودّ لو أن الأرض تبتلعها على أن تعيش بما تعيشه من اضطرابات جعلتها أنثى تختلف عن كل الإناث، بل أن وجهها بدا عليه التعب مما تكابده من آلام بحثًا عن كهف السعادة التي طال بعاده وتكسّرت طُرُقَه وأطرافه، حتى وصلت إلى العيادة التي ترجو منها رجاء الإنقاذ، واستقبلها الدكتور محسن استقبالًا حسنًا بعد أن أخذها ومشى معها بين ممرات العيادة وهي يحاول أن يلطّف ذعر أرامينتا الذي يغزو ملامحها.

فتح باب المكتب، واستقبل أرامينتا عطرًا يفوح في كل بقعةٍ من بقع المكتب، كأن الدكتور محسن قد زرع في مكتبه ثمرة الليمون بشتى أنواعها وفصائلها، فاستأذنها بالدخول بعد أن دخل، وجلس على كرسيه الجلدي العميق، ثم أخذ يقلّب القلم بيده ظهرًا على بطن، وقال:

- أخبريني إذًا، هل حدث شيء؟

تأفئت وجرت رياحها عكس ما تطمح له حين أخبرته بكل الذي حصل في ليلتها المشؤومة، بعد اعتقادها أن المنقذ حبلًا مطاطيًا وفشلت في ذلك الاعتقاد، ثم قالت:

- أتعلم ما هو الغريب؟

- أخبريني بكل شيء أرامينتا، ما هو الغريب؟

أسندت كوعها على المكتب لتشرح للدكتور على سطحه وتُمثّل ذلك...

قالت:

- الغريب أنني في كل يوم أضع فيه الكاميرا كي تصوّر المشهد لا يأتيني هذا الكائن، ولكن، عندما لا تكون الكاميرا موجودة أراه حاضرًا!

أخذ الدكتور محسن ورقةً بيضاء ليسجل عليها ملاحظة، فكتب ما يريد كتابته ثم أعطاها إلى أرامينتا وقال:

- هذا الدواء أريدكِ أن تأخذي نصف حبة منه اليوم، أسمه Cipralex هو يعتبر من عائلة المهدئات والمرخيات، إن شعرتِ في ليلتكِ الأولى أنه مناسب وكان فعّالًا استمري عليه شهرًا كاملًا، ثم أخبريني بما يحدث معكِ.

- وإن لم أجد نتيجة في هذه الليلة أو حتى بعد مدة قصيرة، ماذا أفعل؟

وضع الدكتور محسن قلمه على الطاولة واسند ظهره على كرسيه بارتياح ثم قال:

- أنا معكِ إلى النهاية، لا تقلقي يا أراميننا.

***

عادت أراميننا إلى المنزل في الساعات الأولى من الليل، ولبثت في مقعدها تلملم أشياءها قبل أن تنزل من السيارة، ورأت عمها عيسى للتو عائد إلى المنزل أيضًا ففتحت الباب وقالت:

- عمي أين صالحه الصغيرة اشتقت لها!

سار نحوها وسلم عليها ثم قال:

- تحتاجين مساعدة حبيبتي؟

قالت:

- لا الأغراض بمتناول يدي، أين صالحه الصغيرة؟

أخذ نفسًا من شدّه شوقه وقال:

- في الداخل مع أمها، كنت جالسًا مع أصحابي في المجلس لكنّ الشوق جعلني أتركهم وأعود للمنزل كي أراها!

نزلت أراميننا ثم قالت بعد أن أغلق عمها باب السيارة وراءها:

- وكيف حال فهد بالمدرسة؟

- لكِ أن تتخيلين أنه يُريد أبوكِ أن يأخذه للمدرسة! يحبّه كما كنتِ تحبين أمي...

تغيّرت ملامحها وعبست قائلة:

- كنت؟ أنا لا زلت أحبها يا عمي...

أخذ رأسها فقبّله وقال:

- جميعنا نعلم ذلك يا أرامينتا، تعالي معي لنرى صالحه الصغيرة!

قالت أرامينتا متحمسة:

- كيف حالها بعد خروج ضرسها الأول؟؟

- بكاء... بكاء... بكاء!

ضحكت أرامينتا من أعلاها ثم دخلت معه إلى فناء المنزل، وأخذت تلعب مع الأطفال حتى أتتها صالحه الصغيرة، تلك التي كانت مختلفة في شعورها تجاهها، وقد سمّاها عمها عيسى حبًا وخلودًا لأمه صالحه، فكانت أكثر شيء تحبه أرامينتا، وكان لا يؤنسها أنيس في الحياة أكثر من لعبها مع صالحه الصغيرة، كأنها دواءٌ طبيعيٌّ لكل مآسي الحياة...

أعطت عمها عيسى أبنته بعد أن أتلفتها باستفراغ الحليب، وقالت:

- عسل على قلبي هذا الحليب، لكن حان وقت النوم لديّ في الغد اختبار لأكثر مادة أكرهها!

بعد ساعة...

قررت أرامينتا قبل أن تهيم وتأوي إلى فراشها أن تأخذ علبة الدواء التي صرفها لها الدكتور محسن، فأخرجت منها حبةً وأقسمتها قسمين كما أخبرها، ثم تناولت واحدة لعلها تكون المنجاة من كل الكوابيس التي تمرّ بها وتفكّ الشفرة المعقدة كما فكّ العالم البريطاني «آلان تورينغ» شفرة الرسائل العسكرية الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية وأطاح بهتلر، لعل نصف حبةً تكون هي النجاة...

ارتدى الليل عباءته الداكنة واحتوى دفئ السرير أرامينتا، وكان التعب يبلغ أشدّه والراحة بعد الحبة تأخذ مرادها وغايتها، فتمدّدت في كل نعومة ينعم فيها الفراش، وتصدّر النوم كل جزء من أجزاء عيونها حتى تبين أنها قد نامت، وما لبثت في تلك السكينة حتى سمعت ذلك الصوت يسطو داخل أذنها رويدًا، فعاد عقلها نشطًا وتحررّ كل عَصَبٍ بداخلها من الأمان إلى حالة استنفار، وفتحت عيونها وهي ترتعد من الوشوشة التي ما عاد يداويها أحد، ولمحت الظلّ وهو يهرب، لكنها جلست في منتصف السرير غاضبة وقد احتلها السخط احتلالًا فما عادت تقوى على التحكم بانفعالاتها وهي تراه يختفي، وقالت صارخة:

- لـم أعـد أحتمـل وجـودك الجبـان فـي حياتـي!! إن كنـت حقيقيًـا فانـزع رداء الخـوف وأخـرج، سـأجنّ فـي حياتـي والسـبب أنـت، بـتّ مضطربـة نفسـية والسـبب أنـت، ألا يكفيـك أن تراني مجنونـة؟؟ أخـرج وكـن واضحًـا معـي إن كنـت حقيقيًـا!!

نشـف ريقهـا مـن انفعالهـا واسـتلقت علـى يسـارها كـي تطـول قـارورة المـاء، لكنهـا توقّفـت وانصـب الرعـب والرهبـة بداخلهـا صبًـا بعـد أن سـمعت بأذنهـا اليسـار صوتًـا غريبًـا يقـول:

- أنا حقيقي.

كيف للعدم أن يتحول لواقع؟

هلعت أرامينتا تلهث راكضةً إلى غرفة أبويها وطرقت بابهما مرارًا حتى فتح أبوها الباب خائفًا أن هناك أمرًا قد أصاب أحد أفراد المنزل، وقال:

- حبيبتي هل هناك أمرًا!!!

قالت وقد أخذ منها التنفس كل مأخذ خوف:

- أريد أن أنام عند أمي!

نهضت أمها وراء أبوها، وقالت:

- ما بكِ أرامينتا!!

- لا شيء، أريد أن أنام بجانبكِ ماما!

قال أبوها فهد:

- تعالي نامي على الفراش، وأنا سأنام بالصالة.

ودخلت إلى الغرفة دخول الفازعين ثم تغطت من أدناها إلى أعلاها، ورأتها أمها بهذا البؤس فتهشّم قلبها، وقالت بعد أن استلقت بجانبها:

- حبيبتي، هل الظل أتاكِ مرة أخرى؟

كان أبويها يعلمان بالأمر منذ أن كانت صغيرة، ويدركان تقلّب أحوال ابنتهما، لكنهما يقفان بعجزهما عن المساعدة بعد أن ألقوا بكل أسلحتهما السليمة عليها، وما كان منهما إلا أن يزرعان الطمأنينة لعلها تنبت في قلبها...

لم تجيبها أرامينتا وهامت في صمتها تفكر بالحدث دقائق ليست بالقصيرة، ثم ألقت بنظرة سارقة إلى أمها، ووجدتها قد نامت، فأخذت في نفسها تتحدث: ماذا لو كان الصوت مجرد وهم؟ لابدّ أن أعود إلى الغرفة وأفهم ما حصل!

ثم تجرّأت وقامت من سرير أبويها ورأتها أمها تنهض فقالت:

- ألا تُريدين أن تنامين؟

رأتها أرامينتا مبتسمة، وقالت:

- لا تقلقي كان مجرد كابوس آخر، سأذكر الله وأنام...

ثم مشت إلى غرفتها وقد تمكّن الخوف منها لكنها تريد أن تصطاد الحقيقة بعد أن وقعت في وكر الهلوسة سنينًا عديدة، وجلست كما كانت جلستها الأخيرة على سريرها، ثم سكتت لوهلة، وابتلعت ريقها، وقالت:

- إن كُنت حقيقيًا، فاخرج.

اشتدّ شعور الغرابةَ فيها أكثر من أن يكون شعورًا مائلًا للخوف بعد أن سمعت مجددًا:

- أنا حقيقي، أخبريني...

لم تدرك ذلك أبدًا، ولم تشعر بضربات قلبها وهي تشتدّ داخل قفصها، وما عادت تريد أن تفهم أكثر من فهمها لذلك، فقالت:

- ماذا لو كنت أتخيّل الصوت؟ أو أن الحبة التي صرفها لي الدكتور كانت تجلب لي الهلوسة؟

فأخذت هاتفها وهامت تبحث عن الأعراض الجانبية للدواء لكنها لم تُكمل عملية البحث حين سمعت:

- لا تخلقين أسبابًا، أنا حقيقيّ يا أرامينتا.

تركت الهاتف على الفراش وقالت:

- إن كنت حقيقي أريد أن أراك، لا يكفي أن أسمع صوتك فقط!

- لا أستطيع أن أخرج لكِ دون أن تقدّمي لي ثلاث مهمات...

قالت والعرق ينصبّ من شعرها ذعرًا:

- وما هي المهمات؟

فسمعته يقترب من أذنها بأنفاسه، وأخذت الرجفة تسكن أحشاءها...

قال:

- كل مهمة تنجحين فيها أخبركِ بالمهمة التي تليها، وبمجرد أن تنتهين من كل المهمات الثلاث سأكون أبديًا بجوارِك كما كنت مع جدتكِ.

انصعقت وكأن رعدًا تمسّك بها، وقالت بصدمة:

- أنت الذي كنت مع جدتي!!!

كان يتنقل من أذنها اليسار إلى اليمين، ويدور حول ذلك، فسمعته يقول:

- كل الخفايا سأخبركِ بها بعد أن تنتهي المهمات الثلاث، أما الآن فلا مجال للفضول معي.

- وما هي المهمات!

لم يتحدث لأكثر من دقيقة وخيّم الصمت على زوايا الغرفة فقالت مجددًا:

- ما هي المهمات؟؟؟

كانت تسمعه في كل مرة وكأنه بجانبها مباشرة، أما هذه المرة فكان الصوت يتوزع على الأذنين وكأنما يجلس هذا الخفي أمامها...

قال:

- هناك امرأة تجلس دائمًا بعد الساعة الرابعة عصرًا في مقهى يدعى EMLS تحمل غمازتين على أطراف خدّيها بمحاذاة فمها، ولديها شامة واضحة عند عينها اليسار، تلمّ شعرها دائمًا، وفي أوقاتٍ نادرة تتركه فضفاضًا، لديها حاسب آلي مميز بلونه الوردي، وأسمها مميز كما هو الحال بالنسبة لأسمكِ، أسمها ليساء...

قالت بعد أن سمعت كل التفاصيل التي ذكرها:

- وما شأني بها؟

اقترب صوته من أذنيها أكثر، وقال:

- أريدكِ أن تقتليها.

انكتم صدرها لوهلة ثم لبثت في غرابتها تمتصّ ذهولها وغرابتها، وما عادت إلى الواقع حتى استقرّ في عقلها مستقر الخطر وقالت مباشرةً:

- جدتي صالحه كانت قاتلة!!!

ابتعد بأنفاسه عنها، وقال:

- أخبرتكِ مسبقًا، لا مجال للفضول معي قبل أن تتمّ المهمات الثلاث.

قالت أراميننا:

- هل أنت جنيّ؟

- لا يهم ماذا أكون، المهم أن أكون أبديًا معكِ.

ابتلعت ريقها ألف مرةٍ في حوارهما الذي لم تضع أصابع التصديق عليه تمامًا، قالت:

- لماذا تريد أن تكون أبديًا معي؟

همهم في صوته همهمة هزلية، وقال:

- أراميننا، لا مجال للفضول قبل الإتمام، سأكون حاضرًا بعد إتمام المهمة الأولى، أما الآن فليس لوجودي داعي، أراكِ أقوى.

قالت مستعجلة فيما تقول بعد أن تلعثمت:

- لحظة، لكنني لست قاتلة!! ولا أريد أن أكون قاتلة، استبدل المهمة الأولى بمهمة لا تحمل في جعبتها القتل!!!

لم تسمع منه صوتًا حتى بعدما أصرّت على ذلك ونادته نداءات كثيرة لكنها علمت في نفسها أن الأمر يشتدّ غرابةً، وأن ذهابها للدكتور محسن في الغد واجبٌ عليها قبل أن تنجرف إلى مصيدة النهاية، فتكون في تعداد الخاسرين، وتندب أفعالها كما فعلوا السابقين الأولين الذين نسوا دُنياهم وهاموا نحو الهلاك.

في هذا العالم، إما أن تكون قويًا فتصل إلى السماء، وأنت جالس

أو

أن تكون تعيسًا ضعيفًا ليس لك حول ولا قوة، وأنت جالس

ساقت البعثرة أراميتا إلى طُرقٍ متناثرة ليس لها في ذلك من يُرشدها إلى طريق الصواب، فهي لم تخبر أحدًا بالحدث الصادم الذي قادها اليوم مسرعةً لأن تجلس مع الدكتور محسن وتخبره بذلك...

وصلت أمام العيادة لكنّ ومضةً اخترقت عقلها بعد أن اختلّت ذاكرتها وعادت للوراء كثيرًا وتذكرت أمرًا جعلها ترفض النزول للعيادة رفضًا قاطعًا، بل أنها لم تقف عند هذا، وقررت قرارًا لا ينبت إلا من الذي فقد أهليته ونصاحته عندما أخذت بعضها واتجهت إلى مقهى EMLS!!

أوثقت حبلًا وثيقًا بين ما قاله الكائن المجهول عن المهمات الثلاث مع حديث جدتها قبل أن تموت عندما قالت لها:

« ..... ستواجهين بعض العقبات وحدكِ، وبعض الألغاز، لعل كلامي حاليًا وأنتِ في هذا العمر لا تفهمينه جيدًا، لكنني أريدكِ أن تحفظيه لتفهمي كل شيء عندما تكبرين حبيبتي، ستحصل ثلاثة أمور لكِ، وستأتيكِ على مراحل ثلاثة، تجاوزيهم، ولا تفكري أبدًا بالرجوع، وعندما يحين وقتهم؟ تذكري هذه الجلسة وأنا ألعب بشعركِ، لا تتراجعي أبدًا حبيبتي....»

***

لـم تأخـذ أرامينتـا أكثـر نصـف سـاعة علـى وصولهـا إلـى المقهـى المنشـود، وأركنـت سـيارتها بالقـرب مـن البـاب ثـم نزلـت وهـي تـراوغ الحاضريـن بالذهـاب إلـى نـادل الطلبـات وطلبـت مشـروبًا سـاخنًا مـن القهـوة ثـم لبثـت تناظـر كلّ الموجوديـن حتـى وقعـت عيونهـا علـى امـرأة بنفـس التفاصيـل التـي أُخبِـرَت بهـا!

استصعب الكذب على عقلها بما تراه وقد كانت تفاصيل المـرأة تُطابـق التفاصيـل التـي سـمعتها تمامًـا، وكانـت تـودّ أن تتأكـد مـن أسـمها حتـى تقطـع الشـكّ باليقيـن، فاسـتلمت قهوتهـا وذهبـت نحـو المـرأة، وقالـت:

- السلام عليكم!

كانـت المـرأة تضـع سـماعتيّ أذنٍ بحجـم فتحـات أذنهـا بلونهمـا الأبيـض، ورأت أرامينتـا واقفـة وهـي تجهلهـا، فنزعـت السـماعات وتبسّـمت لهـا بمجاملـة واضحـة، ثـم قالـت باسـتفهام:

- أهلًا؟

قالت أرامينتا كأن هناك وقعًا في رأسها:

- هل أنتِ المشهورة ساره محمد؟؟ لا تعلمين كم أحبكِ!

تأنّت المرأة في ردّها بعد أن استغربت ذلك، ثم قالت:

- لا حبيبتـي أخطـأتِ الشـخص، ولا أعـرف مـن تكـون سـاره محمـد أصـلًا...

قالت أرامينتا وهي مصرّة:

- أعلم يا ساره أنكِ لا تحبين مثل هذه المواقف وتُخفين نفسكِ لكنني أحبكِ وأريد أن أصور معكِ، هل تسمحين؟
- حبيبتي أسمي ليساء وليس ساره، عمومًا تشرفت بكِ...

ثم أعادت ليساء السماعات إلى أذنيها ودارت أرامنيتا بنفسها نحو الباب وهي مصدومة من أنّ الظلّ الذي يأتيها بات واقعًا لا شكّ بأمره أبدًا، وركبت سيارتها وهي على ذهولها الأول بعد أن تأكّدت من الاسم، لكنها قبل أن تفعل فعلًا طائشًا تندم عليه في الحياة والآخرة قررت أن تتجه إلى الدكتور محسن لعلها تجد جوابًا لواقعها المرعب الذي بات يشتدّ فزعًا وتمرّدًا عن سابق الأيام...

أحيانًا تشعر بأن الحياة بأكملها تقع على صدرك، وأن الطريق ما عاد يتّسع أكثر لاستنشاق الهواء، وفي لحظةٍ عابرةٍ تعود إلى الله متألمًا من مصائبك وتجد أن الأيام مسحت على قلبك مسحةً باردةً كأن الذي مررت به لم يكُن...

ذلك هو لطف الله، يؤته لمن يعود إليه في فرحه وحزنه.

وصلت أرامينتا إلى العيادة مرعوبة بدائرة الأحداث التي وقعت فيها، وأصرّت على مقابلة الدكتور محسن رغم

أن مكتب الاستقبال أخبرها أن الدكتور يأخذ وقتًا للراحة، لكنها ناهضتهم وقاومت ما تُريد إلى أن خرج لها الدكتور من بابٍ ضيّقٍ يطلّ على الباحة الخلفية من العيادة، وقال لمكتب الاستقبال:

- الجميع في وقت استراحتي تجعلونه ينتظر، إلا أرامينتا! كان يجب عليكم أن تتصلوا فيّ فهي أبنة الغالية صالحه رحمها الله...

قالت أرامينتا:

- دكتور أريدك على انفراد الآن!

لم يكن الدكتور محسن شابًا في عمره لكنّ مظهره أصغر بكثير من الشيب الذي يكسوه، فأمر «نادية» أن تفتح مكتبه، ثم قدّم أرامينتا عليه للجلوس في المكتب، وقال:

- ما بكِ؟ هل حصل أمرًا؟؟

قالت:

- أ... لا أعلم كيف أخبرك لكن، لكن...

فقال لها فورًا:

- خذي نفسًا يا أرامينتا، ثم أخبريني، لدينا الوقت كُلّه.

حاولت أن تُبعد التأتأة على لسانها، وأن تكون هادئة أكثر...

قالت:

- دكتور في الأمس تحدثت مع الكائن الغريب!
- ماذا قال؟

كانت أرامينتا تبتلع ريقها كلما تذكّرت، وقالت بعد ذلك:

- أرشدني إلى فتاة لا أعرفها في حياتي بتاتًا يا دكتور، بتاتًا!! وذهبت قبل قليل إلى المكان الذي أخبرني به لأرى إن كنت قد وقعت في مصيدة الأوهام أو أن الذي سمعته كان واقعًا، والصدمة أنني رأيت نفس الفتاة بكل تفاصيلها! وعندما ذهبت إليها وكذبت في موقف كي أعرف أسمها، أخبرتني أن أسمها ليساء تمامًا مثلما أخبرني هذا الكائن الغريب!

أعتدل الدكتور محسن في جلوسه، وبدا على ملامحه الجدية في ربط كلّ السهام الضائعة في حديثها، ثم قال:

- لنأخذ الموضوع بتروٍ، هل قال لكِ من هو؟
- لا! وأخبرته إن كان جنيًا لكنه لم يجيب!

زجّج الدكتور محسن حاجبه بأصابعه، وأتضح عليه هذه المرة أن يدخل بأعماق أرامينتا، فهي ما تعيشه ليس وهمًا ما دامت التفاصيل الصغيرة تكبر...

قال:

- هل أخبركِ ماذا يريد منكِ؟

خبأت المهمة الأولى في أحشاءها ولم تفصح عنها خوفًا من أن يكون للدكتور محسن ردة فعل يجعلها تسكن المستشفى النفسي فلا تخرج منه وتقبع بين جدرانه!

قالت:

- لا، لكنني أريد حلًا يا دكتور، الأمر بات أكثر رعبًا...

قام الدكتور محسن من مكانه وفتح ثلاجته الصغيرة وأخذ قارورتين من الماء، أعطى واحدة لها وأخذ واحدة، وشرب ليُبلل لعابه ثم قال:

- بدأت أُجزم على أمر يدور في ذهني

- وما هو؟

- أنتِ وجدتكِ رحمها الله تتشاركان بنفس الشخصية التي تأتيكما، وقد أتى الوقت الذي أخبركِ بذلك...

مضغت أرامينتا شفتيها الناشفتين، وقالت:

- لم أفهم؟

أسند الدكتور يده على ركبته، وقال بنبرة جادة: قبل أن أخبركِ بأيّ شيء، الحمد لله الذي قدّرني أن أعالج جدتكِ، وشاء القدر نفسه أن تأتيني أنتِ بنفس ذلك، كان لديّ شكٌ منذ البداية لكنني ركنته جانبًا لكي أرى التطورات...

ثم عاد بنفسه ليستند على الكنبة، وقال وهو يُمثّل بكلتا يديه:

- بعد حادث عمتكِ حصة رحمها الله، أتتني جدتكِ لأنني كنت على علاقة وثيقة بجدكِ الذي يعرف أبي تمام المعرفة، لكنّ الأوهام نفسها بدأت تراودها بعد الحادث بشهر تقريبًا، واستمرّت تزورني بين الفترة والأخرى إلى أن سكنت المستشفى قبل أن تذهب إلى خالقها، أتيتها تقريبًا في الشهر مرة بالمستشفى ورأيتكِ دائمًا ما تجلسين بجانبها، لا أعتقد بأنكِ تتذكرينني، لكنّ المهم من كل هذا أنني استطعت بفضل الله أن أعالجها، والآن أتى دوركِ يا أرامينتا...

نهض من مكانه إلى مكتبه، وفتح الدرج الثالث، ثم مسك عصا صغيرة لا تتسع إلا لكفّ اليد الواحدة، ثم عاد يجلس بجانبها، وقال:

- أعلم أن الأمر يزداد صعوبة عليكِ، لكنني سأتخذ معكِ مأخذًا آخرًا وهو أن تقرئي آية الكرسي على كوب من الماء، والمعوذات ثلاث مرات، ثم تضعي العصا بداخل الكوب وتمرّريها على كل جزء من أجزاء جسدكِ ووجهكِ برفق، ويجب أن تفعلي ذلك كل يوم قبل أن تنامين، وهناك أمرًا ثانيًا هو أنني سأصرف لكِ دواءً تأخذينه مع الدواء الذي عندكِ، قبل النوم بساعة ونصف، وأريد أن أراكِ بعد يومين.

قالت أرامينتا:

- دكتور هل تستطيع أن تسجّل كل ما قلته على ورقة كي لا أنسى؟

- بكل تأكيد يا أرامينتا...

ثم قام وجلب ورقة خارجية وكتب لها كل ما ذكر، فقالت أرامينتا بضياع:

- هل كان يراود جدتي بعضًا من الأمور التي تُهلك الشخص؟

- مثل ماذا؟

- مثل أن تقتل أحد؟

توقّف الدكتور عن الكتابة، وأخذ يطيل النظر إلى أرامينتا فاعتقدت أنها ارتكبت معصيةً في ضياعها، لكنّ الدكتور قال:

- أنا دكتورك يا أرامينتا، وأريدك أن تعلمي يقينًا بأن الحديث الذي يدور بيننا لا يخرج أبدًا إلى أي شخص خارج هذه الغرفة، أخبريني بماذا يدور في ذهنكِ.

قالت وهي تلعب بأطراف شعرها من شدة التوتر:

- لا شيء، مجرد فكرة راودتني...

فقال:

- الهلوسة قد تأتي بأبعد من تلك الفكرة، لذلك يجب أن أعالجكِ ولا أسمح لعصب عقلكِ أن يُصاب، أنتِ في حمايتي لا تخافي...

قالت:

- لكن ماذا عن الفتاة التي تُدعى ليساء، أنا لا أعرفها أبدًا، كيف عرفت كل تفاصيلها ما دامت هلوسة؟

تبسّم لها في سرّه وقال:

- كل شيء سيتّضح معنا مثلما اتّضح مع جدتكِ، المهم أن تفعلي بما كتبته لكِ.

كوني أقوى

هامت أرامينتا إلى فراشها وهي تحمل في قلبها الخوف، بعد أن تناولت الدواء قبل ساعة ونصف، وقرأت الآيات على كوب الماء ثم مررت بالعصا الصغيرة كل ما طُلب منها، ثم تلحفت وأغمضت عيونها وأخذها النوم إلى عالمه...

لم ينقطع نومها ساعتين متواصلتين، وكان للدواء تأثيرًا جيدًا عليها، لكنها بعد ذلك هبّت من نومها مُنقطعة على منادي يناديها، وفتحت عيونها فسمعت ذات الكائن يقول:

- أرامينتا، انهضي...

لم تكن مستوعبة لذلك من تأثير الدواء وعادت إلى نومها لكنّ هذا الغريب أفزعها بصرخة في أذنها اليسار وجعلها تستيقظ فازعة، وقالت:

- ماذا؟ هل أنت موجود؟؟ كيف؟

- تأثير الدواء قوي، لكنني أردت إخبارك باسمي.

استلقت من تمددها على لوح السرير، وقالت:

- ما اسمك؟

- كنان.

طار النوم من عيونها وتبدّد كل ما كان في ذهنها!

قالت:

- كنان الذي أخبرتني جدتي به؟؟؟

- أنا هو الذي أخبرتكِ جدتكِ عنه، وساعدتكِ في أكثر التفاصيل التي علقتِ بها، كيف لم تعرفينني يا أرامينتا؟
- لم أعتقد لوهلة أن كنان حقيقي!
- والآن أدركتِ ذلك؟ أريد منكِ أمرًا، لا تذهبي إلى الدكتور محسن مرةً أخرى، وتناولي دوائكِ لأنه يخفف عنكِ التوتر، لكن أتمّي المهمات لأجل جدتكِ أولًا، ثم لأجل أن أبقى معكِ أبديًا كما كنت مع جدتكِ.

وضعت أرامينتا كلتا يديها على وجهها وقالت:

- لكن أنا لست بقاتلة، أخبرني لماذا تريدني أن أقتلها!

سمعته يتنقل من أمامها قائلًا بصوتٍ خافت:

- ليساء ستقتل طفلة بريئة، وأنتِ التي ستنقذ هذه الطفلة وهي لا تعلم، سيكون شأنكِ عظيمًا عند أهلها لو علموا، وأنا أعلم أنكِ ستجدين الطريقة المناسبة لقتلها، لأنكِ أذكى من دخلت عقله.

قالت أرامينتا: وهل سيكتشف أمري أحد؟

فقال:

- لا، وسأكون معكِ في حينها، متى ما قررتِ قراركِ الأخير، أخبريني، والآن عودي إلى نومكِ، سأرحل عنكِ إلى أن يحين القرار.

وغلب على أمرها هدوء الدواء وسكينته، فنامت وهي تحاول المقاومة.

العودة إلى الحاضر

استمرّت أرامينتا في أيامها بمراقبة ليساء وأَخْذ الاعتبار بكل تحركاتها ومآربها، وكانت تتبعها في كل مكان، حتى بعد أن ترحل ليساء عن المقهى، كانت أرامينتا دائمًا ما تكون خلفها، لترى أفضل طريقة ممكنة للنيل منها، فهي قد قررّت قرار القتل من شدّة حبها لجدتها التي كلما شعرت بالرجوع تذكرت حديثها الأخير قبل الوفاة، وتصرّ على الاستمرار، كأن كلماتها الأخيرة وقودها فيما تفعل...

اعترض طريق المراقبة اختفاء ليساء يومين متتابعين، وكانت أرامينتا تبحث عنها في مكان قصدته ليساء سابقًا لكنها لم تجد دليلًا واحدًا عليها...

عادت إلى المنزل بخيبة أمل، وجلست مع عائلتها تقلّب الهاتف...

شاهدت خبرًا صادمًا في أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وكان الخبر بالنسبة لها بمثابة رصاصة تخترق قلبها بعد أن قرأت خبرًا انتشر في أنحاء الخليج وهو اختطاف فتاة تدعى ليساء من أمام البنك!

وما لبثت في اندماجها حتى سمعت أبوها فهد يقول لأمها: مريم هل رأيتِ الخبر؟ اختطاف فتاة عند البنك!

قالت مريم وهي تشرب الشاي:

- أعان الله أهلها، بإذن الله سيجدون المباحث الخاطف...

نهضت أرامينتا منهم سريعًا إلى غرفتها، ومن شدّة التوتر تناولت الدواء باكرًا، لكنها كانت لا تعرف الطريق لإتمام المهمة الأولى، وكأنها وقعت في بأس اليائسين، وأوجبت في نفسها أن تنادي كنان بعد عجزها عن فعل شيء، وقالت: كنان هل أنت هنا؟

لكنها لم تسمع مجيب، وانتظرت الساعة أن تنتصف بعد أن كان النوم يستحيل عليها، وما إن رأت انتصاف الساعة حتى شاهدت الظلّ يقترب من الممر، فقالت: كنان تعال أرجوك أنا في مصيبة!

سمعته يقول أخيرًا:

- ما بكِ يا أرامينتا؟

- ليساء تم اختطافها!

- أعلم بذلك، تم اختطافها قبل يومين لكن اليوم أعلنوا الأمر للعلن...

فقالت:

- لماذا لم تخبرني!!

- لأنني أخبرتكِ أنني لن آتي إليكِ إلا عندما يحين قراركِ.

- لكن يجب أن يتم إلغاء المهمة الأولى!

سمعته يأخذ نفسًا وكأنه أنسيًا لا يُرى بجانبها، حتى أن نبرته متغيرة قليلًا...

قال:

- ستتأجل المهمة الأولى، وتجهزي جيدًا للمهمة الثانية، غدًا أخبركِ، أما الآن فيجب أن أرحل....

قالت:

- لحظه تعال أريدك بشيء!

لم تسمع منه جواب بل أن أنفاسه وتحركاته ووجوده بظله الذي يكبر عند الإضاءة قد انمحى من أروقة الغرفة، وجلست تكابد أفكارها وتتبصّر بالقادم...

قالت في نفسها: كيف تعايشت جدتي مع كنان؟

أبشع الأمور، أن تكسر قلبًا هام بقلبك

اليوم التالي...
الساعة السابعة مساءً
7:08م

- فارس أنده على أختك أرامينتا فهي لا تجيب على اتصالاتنا.

صعد إلى غرفتها وطرق الباب لكنها لم تجيب، فافتعل في قلبه الفضول وفتح الباب، لكنه وجد أمرًا غريبًا وهي أن أرامينتا نائمة في الممر بين غرفتها والحمام!!

نزل نحوها، وحرّكها من كتفها قائلًا:

- أرامينتا... أرامينتا؟؟

تنحنحت في صوتها وهي تهمس:

- كنان كفاك عني!

قال بصدمة وقد اعتلى صوته:

- أنتِ! من كنان؟؟؟

أفاقت وهي مفزوعة، فنظرت إلى أخوها وقالت:

- كنان؟ من كنان؟ كيف قلت أنت كنان؟ هل كنت داخل الحلم معي؟؟

قال أخوها:

- حلم؟

تأفّفت أرامينتا وهي تراوغ أخوها فارس، قالت:

- أنت حتى في الحلم تظهر لي؟ ابتعد عني...
- لماذا أنتِ نائمة في الممر؟

استوعبت أرامينتا ذلك، وقالت:

- ظهري يؤلمني من السرير، فتمددت على الأرض ولم أشعر بنفسي...
- الجميع ينتظركِ في الأسفل، اليوم عيد ميلاد صالحه الصغيرة بعامها الأول.

تبعثرت في تمدّدها ثم قامت مسرعة، وقالت:

- الحمد لله أنك ذكرتني، هديتها موجودة بالسيارة...

ومشت لتأخذ مفتاح السيارة، ثم أعطته لفارس وقالت:

- ضعها في الصالة الجانبية لا أريد أن يشاهد الهدية أحد، وأنا سأبدل ثيابي وأنزل سريعًا...

***

ترتّبت الصالة ترتيبًا ضخمًا للاحتفال، وكانت الزينة معلقة بأنواعها على الحائط، وقد شكّلوا بالبالونات أسم صالحه، وكانت هُناك رسّامة ترسم على وجوه الصغار والإناث، كان الجو العام مليئًا بالفرح، وأخذت الأغاني صخب الضحكات، ومسك كل ناضج هديته التي سيقدمها

إلى صالحه الصغيرة، وانتهى احتفالهم بعشاء تكفّلت فيه «أمل» زوجة عيسى وأم الصغيرة، ثم تفرّقوا بعد ذلك كلٌّ إلى عالمه ومأواه، وتناولت أراميننا دوائها الذي ترجو من وراءه أن تتمدّد أوردتها ويعمّ السلام داخلها، لكنها في تناقض الوقت مع انتظار كنان أن يخبرها بالمهمة الثانية، ومكثت على سريرها تترقّب فتور أعصابها واسترخاء قلبها حتى يحين اللقاء الغريب الذي يتكرر كلما شعرت بالنعاس، وما لبثت في ذلك حتى سمعت صوتًا يأنّ في أذنها باسمها، فقالت:

- هل أنت هنا؟

- أنا معكِ يا أراميننا.

قالت بفضول وهي تُغمض عيونها:

- كنان لديّ سؤال، من أيّ اتجاه تدخل إلى المنزل؟

سألته هذا السؤال بسبب أن منزلهم يقع بمفرده على أربع اتجاهات وهي لا تعلم حقيقةً من هو هذا الكائن، وجُلّ فضولها يقودها لأن تعرفه وتعرف ماذا كان يدور في عقل جدتها، لكنها لم تسمع منه جوابًا وأتّخذ سبيله في الإفصاح عن المهمة الثانية...

قال:

- هناك رجل يسكن في منزل أهله لكنه يقع في الدور الثالث بمفرده بشقة صغيرة خصصها أبوه له منذ أن

كان صغيرًا عندما بنا المنزل، أريدكِ أن تذهبي إليه...
تعجّبت من المهمة واستغربت لذلك، فقالت:

- لِمَ أذهب إليه؟ وكيف أدخل المنزل؟؟

قال وهو يحوم حولها بصوته الجليدي:

- سأرتّب لكِ أمر الدخول كاملًا وأخبركِ بذلك، لكن المهمة تقوم على أن تكسري قلبه وتحطمينه وتجعلين روحه تتفتّت أشلاءً، ولا أريد أن يبقى عقلًا في رأسه، ويكون الرجل حيًا لكنه ينتظر أن يموت.

ارتعدت أرامينتا وقالت:

- هل سأعرف السبب وراء ذلك؟

سمعته يهمس بأذنها اليمين: أجل، وستكونين فخورة بنفسكِ لأجل هذا الفعل.

فكّرت أرامينتا لوهلة، وكلما كانت تصرّ على التراجع تتذكر ما قالته لها جدتها، فتنهمر بالتحدّي وتأخذ المهمات بجدية أن تنتصر لأجل المعرفة حتى لو كلفتها المهمات حياتها الباهتة.

قالت:

- أخبرني بالتفاصيل...

سـرد لهـا كنـان كامـل التفاصيـل، وأخبرهـا كيـف تذهـب لـه، وأيّ طريقٍ تسلك، ومـا هـو الوقـت المناسب لفعل ذلك، ومـا يجـب عليهـا أن تفعلـه عندمـا يفتـح لهـا الرجـل البـاب بعـد أن تطرقـه.

تطرّق لكل صغيرة وكبيرة، واستمر على هذا حتى قال:

- المهمـة يجـب أن تبـدأ مـن الغـد، لأنـه سيسـافر بعـد أيـام، يجـب أن نُشـغله عـن كل شـيء يحيـط بـه.

قالت أرامينتا بثقة تفوح من لسانها:

- تم!

الأخبار الصادمة، لا يُكذّبها العقل!

كانت أراميتا في يومها التالي تقلّب الأفكار وتشقلبهم في عقلها حتى تُتقن المهمة بحذافيرها، واستعانت بذلك عندما ذهبت إلى البيت المنشود وأخذت تحيطه بنظراتها الثاقبة ودهائها الذي يشهد له كل من عاشرها وفهمها فهمًا جيدًا، ثم استقرّت في مقهى EMLS تنتظر أن تحين الساعة، ولبثت على ذلك حتى رنّ جرس هاتفها، فلملمت أغراضها البسيطة واستقلت سيارتها للبدء بالمهمة الثانية التي تكاد لا يصدقها عقل كُلّ من آمن بالمنطق!

ركنت سيارتها بالبراحة المجاورة لمنزل الرجل الغريب، ثم تخفّت بصغر حجمها إلى الباب اليمين الذي يتواجد فيه المصعد الخارجيّ للمنزل، ورَشقت خطواتها إليه حتى وصلت ودخلت إلى المصعد، وضغطت على زر الدور الثالث الذي لا تتواجد فيه إلا شقة واحدة، فلم تستوطن المصعد كثيرًا بعد أن فتح على الطابق المنشود، وأخذت تسرق تقدّمها إلى باب الشقة حتى وصلت أمامه...

أخذت نفسًا عميقًا وبعثرت شعرها بكلتا يديها، ثم لطّخت بعض أجزاء وجهها بالسواد، ونشرت على ملابسها بعضًا من القاذورات، ومزّقت شيئًا بسيطًا من أكمامها، ثم طرقت الباب طرقًا شديدًا!

في الاتجاه المعاكس

كان «سند» مستلقيًا على فراشه يشاهد التلفاز ويتصفّح البرامج فاهيًا على نفسه دون عملٍ يعمل به في الليل، فسمع طارقٌ يطرق الباب بشدّة فاستغرب لذلك وأسرع نحو الباب، وكان مضجرًا من الفوضوية بالطرق، ففتح الباب غاضبًا لكن غضبه خمد بعد أن وجد فتاة مُتسخة بشعرها المتجعّد وثيابها المتشققة، تحيّر وتعجب لمظهرها وقال:

- نعم؟؟

كانت الفتاة ترتجف وقد أتّضح عليها مسكن الذعر في أحشاءها، فقالت مضطربة:

- خبئي... خبئني!!!

قال وعيونه تتّسع من مكانها:

- أين أخبأكِ؟ من أنتِ أصلًا!

اعترضته في دخولها إلى شقته ومرّت من جانبه دون أن تلتفت إليه أو تستأذنه، ثم خرّت في بحثها على شيء لم يكن لسند أن يعرفه!

أخذت تفتح كُل باب في الشقة، وكان «سند» يلحقها قائلًا: أنتِ؟؟ كيف تتجرئين!

استقصت الفتاة المكان كاملًا وتفحّصت كل زاوية بالسكن الصغير، واستمرت بصرف وجهها عن «سند» كأنها لا تسمعه ولا تشعر فيه بالمكان...

رأت لحافًا مرميًا على كنبة الصالة، فافتعلت أفكارها المجهولة، وأخذت اللحاف وتمددت على الكنبة، ثم تلحفت وعانقت النوم كأنها لم تنم منذ أن ولدتها أمها...

اقترب «سند» منها ووجدها أنها نامت بأقل من خمس ثوانٍ، وضرب الخوف مضجعه ورزانته وشهادته التي من أجلها بات دكتورًا، ونسي نسيان العالمين كل ذلك بعد الموقف الذي يمرّ به...

خاف وتسلل الخوف كاملًا إلى صدره من أن يكون أهلها وراءها فيجدونها في مكانه ويصبح في تعداد الموتى، بل أنه تخيّل ألف خيالٍ وما له من سبيل في سجن تلك الأفكار، فذهب أولًا يُغلق باب الشقة، ثم أخذ دقيقتين ينظر من العين السحرية المعلقة بأحشاء الباب، ثم سار بخطواته السريعة إلى غرفته وأغلق الباب على نفسه وهو يفكر بألف فكرة لتلك المصيبة التي حلّت عليه...

كان يفكر في أن يتصل بالشرطة، ثم تخبره نفسه بأن يتصل على أخوته أولًا ويخبرهم بالأمر، وما بين هذا وذاك شاهد خبرًا على التلفاز جعله يتشنّج في مكانه ويضرب قلبه صدره ضربًا كأنما رعدًا ينغرس فيه!!

شاهد خبرًا عاجلًا، ورأى فيه صورة الفتاة النائمة بمنتصف صالته وهي مقتولة وجاري البحث عن القاتل من قبل السلطات الأمنية، فقال في نفسه: مقتولة؟؟ هي في مكاني كيف يعقل ذلك؟؟؟

فتح الباب ليرى وجهها بشكل حتميّ فارتعب واهتز جسده اهتزازًا بعد أن وجدها واقفة أمام باب غرفته... قال:

- من أنتِ!!!

حكّت شعرها وقالت:

- أنا لا أحد، أنت من؟ هل اختطفتني؟

كانت يديه ترتجف ارتجافًا واضحًا، وقال في تلك الأثناء:

- أنتِ مقتولة؟

همهمت أمامه مستغربة وقالت:

- أنا مقتولة؟ كيف لي أن أكون كذلك وأنا أقف أمامك؟
- في التلفاز رأيت صورتكِ!
- ربما تشبهني.
- كيف تشبهكِ؟؟ كنتِ أنتِ. أنتِ!

وما استقرّ حديثهما حتى سمعا الباب يطرق فاتّخذ الرعب جسد «سند» وهام على أمره أن أهلها قد وجدوا مكانها، أو أن الشرطة ستعتقله، فركض نحو الباب

ووضع عينه على العين السحرية، ووجد أن كل الأفكار التي تهافتت عليه كانت وهمًا بعد أن طرق الباب سائق توصيل، فقد وضع طلبًا لمطعمه المفضل قبل أن تأتي هذه الغريبة إليه...

فتح الباب وأخذ الطعام ثم أغلقه سريعًا، ودار بنفسه ليرى المجهولة فوجدها خلفه مباشرة، ولم يستوعب حتى أخذت منه الطعام وجلست على الكنبة تأكل!

جلس يشاهدها وجسده يخرّ ويرعش، ثم قال وهي تأكل:

- ما أسمكِ؟ وكيف وصلتِ إلى هنا؟

استقامت الفتاة من جلوسها وأخذت منديلًا تمسح بقايا الأكل من فمها، ثم قالت:

- أنا آسفة على كل شيء فعلته اليوم، لم أكمل الأكل كي تأكل أنت، ولا أعلم من الذي قادني إليك، لكن على كل حال لابد أن أرحل الآن، وبالمناسبة أسمي أرامينتا.

فأخذت تمشي بخطوات بطيئة نحو الباب الرئيسي للشقة، ثم مسكت المقبض لتفتحه، فقال:

- كيف وجدّتكِ في التلفاز مقتولة؟

فتحت الباب، وقالت:

- لعلك تتوهّم، مع السلامة.

كيف حدث كل ذلك؟

وصلت أرامينتا إلى منزلها وكان شعورها يختلف عمّا كان عليه، كانت تشعر بتلذذ أكثر بعد أن طبّقت الفكرة وكأن كنان بات داخلها، باتت أقوى، وأشرس، ونزعت من أكتافها رداء الذعر والخوف، وتغيّرت ملامحها من الذبول إلى الانتشاء، وساد عليها الاعتقاد أنها تحمل كنان في جوفها، فوصلت إلى غرفتها وأخذت حبوبها ثم نامت بتصنيفها أنها تشعر بأنها ستنام نومًا هانئًا للمرة الأولى!

لكنّ هذا الشعور يختلف اختلافًا كليًا عند «سند» الذي لازم شقته يومين كاملين دون أن يخبر أحدًا عن الذي حدث له وكان يضع كامل ثقله في البحث خلف هذه الفتاة التي تُدعى أرامينتا...

لم يكن يعلم الطريق للوصول إليها، أو أن يشفي غليل الفضول بداخله ويعرف قصتها كاملةً، لأنه بحث بعمق عن قصة المقتل التي رآها ولم يجد أثرًا لتلك القصة إلا أثناء تواجدها، وشعر بأن هناك لغزًا عظيمًا حلّ به، وبالرغم من الخوف الذي تملّكه حينها إلا أنه كان يودّ بشدة أن يعرف تفاصيلها...

لم يذهب إلى عيادته يومين كاملين، واكتفى بالاعتذار من كل المراجعين لظروف خارجة عن إرادته، لكنه بعد أن عجز عن اصطياد أرامينتا في كل مكان آثر على نفسه في العودة إلى العيادة، وعاد وفي قلبه فضاءً لم يُحل..

كان وجوده في العيادة يحمل اليوم الثالث بعد الحادثة، وكان يستقبل المراجعين ويرشدهم إلى طريق الصواب، لأن ذلك من صميم عمله.

اتصل على مكتب الاستقبال ليأتوا بالمراجع الآتي، فقَدِمتْ له فتاة جميلة تكاد تتفجّر من جمالها الأنهار، شعرها ينصبّ على اكتافها كما يترنح الحرير في البساتين، وكانت عيونها تشبه عيون الظبي، لكنّ كل ذلك الجمال لم يمنع «سند» من أن ينهض صنمًا في مكانه ويقول:

- أرامينتا؟؟؟

تبسّمت له وهي تزيح شعرها من على عينها، وقالت:

- هل تأذن لي في الجلوس؟

ابتسم لها ابتسامةً جافةً، وأشار بيده أن تجلس ثم جلس وقال:

- أخبريني ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

نزعت حقيبتها من كتفها، ووضعتها على الطاولة الرخامية التي بجانب مقعدها، ثم قالت وهي تضع رجلها فوق الثانية:

- أتيت لأفضل دكتور نفسي في البلاد، هل هذا غريب؟

قام من مكانه واتجه إلى المقعد الذي أمامها، فجلس عليه وهو يحكّ ذقنه..

قال:

- أولًا هذا التصنيف لا يمتّ للواقع بصلة، لأنه غير مبني على دراسات، ثانيًا جميعنا يعلم بأنكِ هنا ليس لغرض الاستشارة.

- إذًا أخرج؟

- لم أقصد كذلك، لكنني أودّ حقًا معرفة أرامينتا غريبة الأطوار، لأنني بحثت بحثًا كاملًا عن قصة القتل ولم أجدها أبدًا في أيّ مكان، كيف حدث كل ذلك؟

كان سند يرتدي بدلةً رسميةً سوداء بربطة عنقٍ ذات اللون البنيّ الدافئ، وكان يحبّ أن يصفف شعره ناحية اليمين أكثر...

قالت أرامينتا:

- لا أعلم شيئًا عن تلك القصة، لكنني في خيالاتي التي تتردد عليّ كل ليلة أعتقد بأن ذلك الذي جعلني آتي إليك قبل أيام، ولأنني كنت أبحث عن أمهر دكتور نفسي فوجدتك أمامي، أريد أن أفصح لك عن سرّي.

كان سند يتنفس بهدوء، ويستمع إليها جيدًا، قال بعد أن انتهت:

- ما هو السر؟

قالت أراميتا:

- عدني أنك لن تقول لأحد.

- طبعًا يا أراميتا لن أقول لأحد، وهذا من صميم واجبي تجاه كل انسان يودّ أن يأخذ استشارته مني.

- قبل أن أخبرك هل لك أن تطلب لي كوبًا من الشاي؟

نهض سند إلى الهاتف المركون على المكتب الخشبيّ الفاخر، واتصل على النادل يأتيه بكوبين من الشاي، ثم عاد جالسًا أمامها، وقال:

- أخبريني...

مالت أراميتا برأسها يمينًا وشمالًا، كأنها تنظر إلى شيء معيّن يتحرك، ثم قالت:

- كنت في السابق أراجع عند عيادة دكتور يدعى محسن، لكنّ كنان منعني من الذهاب إليه.

قال سند متسائلًا:

- من هو كنان؟

اقتربت أراميتا من سند وهمست قائلة:

- لا أعرف، لكنه يتغلغل إليّ في الليل، لم أراه بعد لكنني أسمع صوته، وأخبرني أن أمتنع عن الذهاب إلى الدكتور محسن، فبحثت عن الأفضل ووجدتك!

- هل تعتقدين بأنّ كنان جني؟

- لا أدري، وسألته هذا السؤال لكنه لا يجيب عليه.

عضّ سند شفته السفلية متدبّرًا أمرها ولغزها، ثم قال:

- ماذا يُريد منكِ؟

- أخاف أن أخبرك ويقتلني، لكنني أتيت لأحذّرك منه، بعد يومين من قدومي لك وبحثي الطويل عنك اكتشفت أنك انسان طيّب جدًا والجميع يُثني عليك، لذلك هذا ما لديّ تجاهك، ويجب أن أرحل الآن خوفًا أن يعرف كنان سبب وجودي هُنا!

ثم قامت من جلوسها وهزّت لسند برأسها الذي يحمل ملامحًا لا تشبه ملامح أحد، تفرّدت بجمالها، وكأن الله لم يخلقها من ماءٌ وطينٌ كحال الناس، وقام سند معها قائلًا:

- أرامينتا، باستطاعتي مساعدتكِ!

بشّت له بحسنها البشوش، وقالت:

- سأضع تقديرك في روحي المُتعبة، لكنني أخاف أن يضرّك كنان، ولم آتيك اليوم إلا لأنني أعلم أنك تفكر كثيرًا، أراك بخير.

لم يتحمل سند ليلته هذه من شدّة أرق التفكير الذي لازمه في حله وترحاله، وفي استقامته وجلوسه، وكأن ما حلّ عليه لم يحلّ عليه طوال حياته بأكملها، وقد أخذ قبل أن يُغلق مكتبه رقم أرامينتا وهو يجهل أخذه له، لكنه بعد أن أتّضح القمر في السماء وبات كاملًا بدا له أن يرسل لها رسالة مُشفّرة، فكتب لها:

-من سند إلى أرامينتا-

لم يسرقني التفكير في عمري أكثر من تفكيري هذه الليلة بالباب الذي أُغلق دون مفتاح، لا أعلم حقيقةً إن كنت سأشرب القهوة غدًا صباحًا أم مساءً، أحبّ الشمس لأنها تفتح لعقلي مدارك التفكير.

بعد نصف ساعة

-من أرامينتا إلى سند-

دائمًا ما بتّ أحب الذهاب إلى مقهى يُسمّى EMLS في الساعة الحادية عشر ظهرًا.

سيأتي الخير
مهما حلّ الظلام

كان فهد يتحدّث صباحًا مع زوجته مريم عن أبنتهما أراميـنتا، وكان الإفطار حاضرًا، فقال وهو يأكل الزيتون:

- ألا تشعرين بأن أراميـنتا باتت أكثر صحيةً من قبل؟

قالت مريم:

- سرقت الموضوع من لساني يا فهد! أرى أراميـنتا طبيعية جدًا آخر فترة، والحمد لله لعلّها عادت إلى طبيعتها...

حدث ذلك أثناء نزول أراميـنتا، فرحّبت بهما ترحيب الصباح قائلة:

- صباح الخير على أجمل أب وأم في الحياة!

قالت مريم:

- لا يخدعكِ الفطور، فقد نهضنا متأخرًا وأنتِ تعلمين أن أبوكِ لا يحبّ أن يتناول أول يومه إلا الفطور، لم يبقَ وقت على آذان الظهر...

قالت أراميـنتا:

- أنتما صباحي كل يوم حتى لو انقضى الصباح!

ضحك أبوها فهد، وقال:

- أراكِ إيجابية اليوم...

- كيف لا أكون إيجابية وأنا أحظى بكما؟

رفعت أمها مريم يديها عاليًا وقالت:

- ما شاء الله! الله يتمم عليكِ حبيبتي...

تبسّمت أراميـنتا وقالت:

- أحبكما، لابدّ أن أذهب الآن.

قالت أمها:

- إلى أين؟

- أودّ الذهاب إلى السوق مع ساره صديقتي.

فقال فهد وهو يقطع رغيف الخبز:

- هل أحول لكِ مالًا؟

اقتربت منه أرامينتا وقطّعت له رغيفه، ثم أعطته قبلةً على جبينه وجبين أمها، وقالت:

- لا ينقصني إلا أن تكونا بخير.

ثم ذهبت وظلّا فهد ومريم يناظران بعضهما البعض، فقالت مريم:

- هذه أرامينتا؟

ردّ فهد سعيدًا:

- أرجو من الله أن يمنّ عليها ذلك دائمًا.

***

وصلت أرامينتا بعد نصف ساعة إلى المقهى..

نزلت وفتحت الباب، واستقبلها النادل «إسماعيل» بالاستقبال الذي يليق بقدومها مؤخرًا بشكل دائم إلى المقهى، وأخذت بعد ذلك بعيونها تبحث عن سند،

فوجدته يجلس على نفس الطاولة التي كانت ليساء تجلس عليها دائمًا، فاستحسنت وجوده وذكائه، وقدّمت له ترحيبًا خجولًا، فقام سند من الكرسي بعد أن قَدِمَت له أراميننا، وقال:

- كيف فهمتِ اللغز؟

ابتسمت له باستحياء، وقالت:

- أنا أراميننا، الأولى على مستوى المنطقة أيام المرحلة الثانوية.

أغمض عيونه وهو يرفع حاجبيه مُقدّرًا ذلك، وقال:

- أخبريني ماذا تودّين أن تشربين؟

جلست، ثم اعتدلت في جلوسها على أحسن وضع تحبّه..

قالت:

- ليس لديّ مشروبًا معينًا، أطلب لي مثل طلبك.

نادى سند على النادل إسماعيل وأعطاه طلبهما، ثم لمح أراميننا وهي تحاول إخفاء توترها فقال:

- هل أنتِ متوترة؟

أفشت أراميننا بمشاعرها قائلة:

- بكل صراحة نعم...

- لماذا؟

- لأنني أول مرة أجلس هذه الجلسة مع رجل.

ظهر سنّ سند من تودّده وقال:

- لا تعتبرينني رجل غريب، اعتبريني دكتورك.

ثم عجّت طاولتهما بالصمت دقيقةً، فعاد سند يقول:

- أخبريني عن هذا الكائن الذي يدعى.....

قاطعته أرامينتا بسرعة، وقالت:

- لا تقُل أسمه!

- لماذا؟؟

- لأنه بالعادة يأتيني دائمًا في الليل، وبشكل حصري عندما أذهب للنوم، لكنني أتذكر مرة واحدة أتاني في النهار، وكان ذلك عندما كنت فيَ الصف الأول من المرحلة الابتدائية...

تعجّب وقال:

- هل يمكنكِ أن تشرحين لي الموقف؟

ابتلعت أرامينتا ريقها كعادة كل مرة تذكر هذا الموقف، ثم قالت موشوشة:

- كنت أرسم بحصة اللغة العربية، ولم أكن على دراية تامة بقوانين المدرسة والصف بحكم أنني في سنتي وأيامي الأولى، فصرخت عليّ المعلمة وبكيت، ثم أردت الخروج من الصف كطفلة لا تفهم لكنها اعترضتني ومسكتني بشدة فصرخت باسم ذلك الشيء، وحدث مالم يكن بالحسبان!!

أعتدل سند في جلوسه، وقال باندماج:

- ماذا حصل؟؟

- سقطت المعلمة على الأرض!

- ماتت؟

- لا، لكن أغمي عليها، لذلك لا أريدك أن تذكر أسمه أبدًا...

تناول إلى عقله سؤالًا عابرًا، فأطلقه إلى أراميننا قائلًا:

- كم عمركِ؟

قالت:

- 19

أسى حالها لكنه أخفى ذلك، وقال:

- فتاة بعمركِ تعيش كل هذه التفاصيل المرعبة، لابدّ من وجود حل...

قالت:

- أنت كم عمرك؟

فقال سند:

- 30 وأسعى ألا يصل عمري 35 إلا وأنا أحمل شهادتيّ دكتوراه.

تداعى إليه سؤالًا لم تجيب عليه في السابق، فقال:

- لم تقولي لي ماذا يُريد منكِ؟

قالت وكأنها غير مدركة:

- أن أفعل من أجله مهمات حتى أراه ومثلما يقول أكون معه أبديًا!

سخر سند من ذلك ونطق بقوله: هذا جنون يا أراميننا، ما هي المهمات؟

هجست له:

- أتعلم أنني عرفت هذا المقهى والفضل يعود للمهمة الأولى؟

أبدى إعجابه لذلك ثم قال:

- كيف؟

- أتذكر قبل فترة ظهرت فتاة مخطوفة بمواقع التواصل الاجتماعي تُدعى ليساء؟

- أتذكرها جيدًا لأنها أتتني مرتين تريد مني استشاره.

انصدمت أراميننا وقالت:

- ماذا كانت تُريد؟؟؟

رفع سند سبابته وأسندها على الطاولة قائلًا:

- أخبرتكِ يا أراميننا بأن للمراجعين خصوصية تامة لا أستطيع أن أفصح سرًا من أسرارهم ولو وضعوا السيف على عُنقي!

امتعضت من ردّه وحاولت تجاهله بقولها:

- المهم، بأن هذه الفتاة كان يريد مني أن أقتلها، بعد أن تتبعتها لأيام اختفت تمامًا ثم ظهرت بمواقع التواصل

الاجتماعي على أنها مخطوفة، أتعلم بأن هذا المقهى والكرسي بالتحديد الذي أنت تجلس عليه كان مكانها الدائم؟

انصعق سند مما يسمع، وتلوّنت ملامحه كشيءٍ لا يفهمه، فقال:

- وهل كنتِ تريدين قتلها؟

- لا أدري يا سند، لكنني كنت أراقبها لأفهمها، لم أفعل مثل ذلك الأمر من قبل، ولم أفكر فيه حتى أخبرني الذي هو شفرتنا بالمهمة!

سكت قليلًا، ثم قال:

- وما هي المهمة الثانية؟

قالت دون أن تتريث:

- أن أكسر قلبك...

اتّسعت بؤرتيه ثم ضحك على أراميننا وقال ممازحًا:

- تكسرين قلبي؟ هل أهون عليكِ؟

أطرقت أراميننا برأسها للأسفل وهي تقول بنبرة حزينة:

- أخاف أن تكسر أنت قلبي...

- لم يعيش بعد الذي يكسر قلبكِ!

زاد حياؤها واحمرّت وجنتيها، والتزمت الصمت، فقال سند:

- أرامينتا، أنا معكِ لو أن الدنيا بكاملها سقطت على رأسكِ، لكنني أودّ حقًا أن أعرف حقيقة مقتلكِ على التلفاز...

لم تعيش أرامينتا ذرةً من راحةٍ أكثر من راحتها في جوار سند، ولم تكتشف إفصاح الأسرار إلا في جلستها هذه، فلم تتردد أبدًا في أن تخبره السر وراء خبايا المقتل، وقالت:

- سأخبركِ بكل بساطة، عندما دخلت عليك همت في البحث عن تلفاز غرفتك، لأنني أعلم فور دخولي لشقتك سيدبّ الذعر في قلبك، وستذهب إلى غرفتك، وكانت المهمة أبسط ممّا أتخيل، لأنني وجدت أن التلفاز مفتوح، وهذا الذي سهّل مهمتي، لأنني كنت أحمل الذاكرة الوميضية بحجم الإبرة، وضعته على تلفازك بسرعة وخرجت إلى الصالة.

اندهش سند من الحدث وترتيبه، وقال:

- أريد أن أعرف لماذا اختارني أنا؟
- هذا السؤال لا أعرف جوابه بعد مع الأسف، لكننا سنحاول خداع -كاف- حتى نفهم المغزى!

نـزع سـند نظارتـه الطبيـة، وكان هنـاك سـؤالًا يـدور فـي ذهنـه...

قال:

- أرامينتـا، كيـف لـي أن أصـدّق أنـكِ لا تكذبيـن علـيّ فـي هـذه الجلسـة؟

كان سـؤاله بالنسـبة لهـا كأنـه صفعهـا علـى وجههـا، فهـي لـم تخبـره بـأيّ سـرٍ إلا لاعتقادهـا أنـه الرجـل المناسـب لأن تخبـره بـكل التفاصيـل التـي لـم يطّلـع عليهـا أحـدًا مـن العالميـن، فاسـتاءت وامتـلأت عيونهـا بالدمـوع، وقالـت:

- أتعلـم؟ كل شـيء أخبرتـك بـه، وكل التفاصيـل التـي سـردّتها لـك، لـم أقلهـا إلا بسـبب اعتقـادي أنـك الرجـل المناسـب لأفصـح لـه عـن كل المآسـي التـي أعيشـها فـي حياتـي، لـم أنـدم علـى أمـر أكثـر مـن ندمـي علـى فضـح نفسـي أمامـك، ووضعـك تمامًـا ببـرواز الصـورة كـي تأخـذ حـذرك مـن -كاف- لكـن بعـد أن أخبرتـك بـكل شـيء ويأتينـي سـؤالك هـذا حتمًـا سـيجعلني أنـدم واللّه علـى كل حـرف ذكرتـه لـك، لا أعلـم إن كنـت سـتفضح سـرّي لأنّنـي لا أعرفـك جيـدًا، لكـن إيّـاك أن تشـكّ بشـخص فتـح قلبـه لـك، وهـذا الأمـر لا يقتصـر علـى أرامينتـا، إنمـا علـى عـوام النـاس أيضًـا....

ثم حملت حقيبتها ممتعضة وبائسة، وارتدت نظارتها الشمسية، لكنّ خدها فضح دموعها بعد أن سالت عليه، وحاول سند أن يهدأ منها لكنه لم يستطع ذلك عندما دارت بنفسها عنه وخرجت من المقهى!

سأمسك النار عنك
كي أراك مطمئنًا

انتظر سند ردًا من أرامينتا على رسائله لكنّ قلبها تهشّم بعد أن صارحته ووجدته يشكّ بها، هي في طبيعتها لم تشعر بالأمان إلا عندما كانت جدتها موجودة، وكانت حياتها منذ أن وضعتها أمها مليئة بالقلق والغموض، ولم تشعر بشعورها الأخير أن هناك شخصًا تستطيع أن تستند عليه أكثر من سند، فكان سؤاله بمثابة خنجرًا يخترق أضلعها، واستمرّت على صمتها الذي أصرّ سند أن تجيبه بالرسائل المشفّرة، خوفًا أن يعرف كنان بالأمر، فبعث لها رسالة ثالثة بتشفيره لكل الأحداث...

-من سند إلى أرامينتا-

جميعنا نؤمن بوجود الساعة، وهي التي تحرّك تفاصيل اليوم، لكننا إن شككنا بدخول المساء نذهب مباشرةً لمعرفة الساعة كي نتأكد، وهذا يعني أننا مُدركين لأهميتها في حياتنا، لا نقصد في شكّنا أننا نجحد من يؤمن بالساعة أو أن نجعله ينكسر، لكننا نُحبّ أن نطلع على التفاصيل دومًا ونطمئن لكيفية سير ساعات يومنا مثلما نُحب.

قرأت أرامينتا رسالته العميقة وأخذت تفكّك الخيوط وتستوعب ما وراء السطور، ووقع في عقلها وقعًا جميلًا رغم أن قلبها يحمل هدمًا للمصارحة وحزنًا عميقًا، لكن بدا لها أنه لم يقصد ما شعرت به، فكتبت له قائلة:

-من أرامينتا إلى سند-

صحيح أن الساعة لا تنكسر بمن يشكّك بها، لكنّها لو كانت تشعر بشعور الإنسان لضاقت من تفكير بعض البشر، وذبلت عقاربها، وكانت تودّ لو أن تكون جمادًا لا تشعر بشيء، أحيانًا يرتاح قلبك لأمر معيّن، فتنطلق بقلبك المُنغلق لهذا الأمر وتجعله يطّلع عليك من الداخل، لكن إن حدث حادث جعلك تندم على ارتياحك، سيكون الألم مضاعفًا في داخلك.

-من سند إلى أرامينتا-

ماذا لو قدّمنا للساعة اعتذارًا مع سوشي ياباني بعد أن يعود عقربها من سفرةٍ سريعة؟

قرأت الرسالة بعد أن تناولت دوائها وابتسمت لمراوغاته وتشفيره الذي أحبّت اسهابه وتفرّده في ذلك، فوافقت على طلبه وقدّمت السلامة للسفرة التي سيكون على متنها ثم وضعت هاتفها على الطاولة الجانبية، ونامت.

المشاعر الحقيقية هي المشاعر التي تشعر فيها للمرة الأولى دون أن تفهمها، تلك التي تتسلل إلى قلبك دون رغبة منك، تجبرك على الخضوع، وتُعطيك هرمون السعادة على هيئة شعور تجاه شخص لم تعتقد أنه سيكون له شأنٌ عظيم في قلبك.

كانت أرامينتا تلعب كل يوم مع صالحه الصغيرة، بل أنها سخّرت في كل يوم ساعة لأن تنفرد بالصغيرة وتعلمها بدايات الحياة وتجعلها تنطق بأسماء الحيوانات فتضحك من نطق الطفلة، وتستبشر لعقلها الذكاء الخارق، ثم يأتيهما عمها عيسى ويجلس معهما نصف ساعة قبل أن يلتحق بدوامه الذي لا وقت محدد له، فهو كان عسكريّ ويعمل بنظام المناوبات، وفي أحد الأيام أتى إلى أرامينتا وقال:

- هل نستطيع أن نجعل صالحه عندكِ؟ أريد الذهاب مع مريم إلى السينما منذ مدة طويلة لم نخرج لوحدنا...

فَرِحَت أرامينتا لذلك الخبر وقالت دون أن تفكر حتى:

- بالطبع!

- سنعود قبل منتصف اليل، مريم ستضع لكِ علبًا لتسنينها في الثلاجة، وحليبها في المطبخ بداخل رفّها، وإذا احتجتِ شيئًا اتصلي فورًا.

أطاعت أرامينتا ذلك وعمّ أرجاءها الفرح لوجود صالحه معها طويلًا، فلبثت في البداية تلعب معها عند أبويها وأخوها فارس، وكانت صالحه تحبّ المرح، وتحاول المشي فتسقط في كل مرة وتضحك لسقوطها، إلى أن اقترب الليل من الانتصاف، وأخذت أرامينتا دوائها ثم نامت صالحه بغرفتها، تمددت أرامينتا بجانب تلك الصغيرة، وكانت تقصّ عليها قصة خيالية، ثم أنها ما استقرّت على القصة وتفاصيلها حتى سمعت صوت كنان يقترب، فغضبت غضبًا شديدًا، وقالت:

- ألا ترى بأن صالحه الصغيرة نائمة، لا أريدك اليوم!
- أريد أن أخبركِ بأمر قبل أن أذهب...
- ماذا تريد؟
- هل ستنام صالحه اليوم معكِ؟
- لا سيأتي عمي بعد قليل يأخذها، لماذا؟

اقترب الصوت من أذنها بتلاشي حباله الصوتية وهو يقول:

- متى ستنتهين من المهمة الثانية؟

استنفرت أرامينتا وقالت:

- لا أعلم، وبالمناسبة لم تخبرني لماذا تريدني أن أكسر قلب سند!

سمعت صوته يعلو بداخلها، وكأنه سكنها وتلبّسها، فارتفع سواد عيونها ولم يظهر سوى البياض، فقال وهو يقبض قلبها:

- لا مزيد من الأسئلة قبل الانتهاء...

ثم عادت إلى طبيعتها ووجدت ظلّه يسرع إلى الممر، فأغمضت عيونها ونامت بجانب صالحه الصغيرة، ولم تستقرّ في نومها ساعة حتى طرق الباب عمها عيسى ثم دخل وأخذ صالحة دون أن تراه أرامينتا من شدّة تعبها.

أريدنا جسدًا واحدًا
في الأرض والفضاء
نتشارك قراءة رواية
نلعب معًا

أنار سند البلاد بقدومه بعد رحلة عمل استغرقت أسبوعًا من الإنجازات الشخصية، وآثر على تعب جسده أن يلتقي بأرامينتا في نفس اليوم على وجبة الغداء، لكنه في هذا اللقاء الذي يُعتبر الثاني لهما أخذ يرتّب محاوره عندما كان في الطيارة كما يستعدّ لاستشارة أحد المشوّشين الذين يقدمون إليه في العيادة، ووصل إلى المطعم الياباني فيما بعد، ثم انتظر أرامينتا نصف ساعة على أن تقدِمَ في الموعد لكنها تأخرت، لكنه لم يبعث لها رسالة، لتعزيز الثقة بينهما ولكي يزيد الثقة في قلبه تجاهها، فانتظرها كما تنتظر السماء الجافة الغيوم، وما استوطن ذلك حتى رآها من بعيد تمشي نحوه، وتتمطى بأنوثتها التي لم تكتشفها أرامينتا بسبب ما تُعانيه في الحياة...

قام من مكانه بعد أن وصلت إليه، وقالت فورًا:

- الحمد لله على السلامة يا سند!

وضع يده على صدره، وقال بابتسامة تلتفّ حول شعر ذقنه الداكن:

- الحمد لله أن الرحلة كانت ناجحة وهذا المهم فيها، تفضلي بالجلوس فقد واعدّت ساعتي المكسورة في إرضائها بطبق سوشي!

ضحكت أرامينتا لحلاوة تشفيراته، وقالت بعد أن جلست :

- كيف تفكر يا سند؟ لا أعتقد بأنك تفكر مثل أيّ شخص...

أضخم صوته بهزل قائلًا:

- أنا كاف أفهم كل شيء!

استدمعت أرامينتا ضحكًا لأنه لا يزال يشفّر كلامه معها، وقالت بعد أن أخذت منديلًا ومسحت وجهها قبل أن يُتلف المكياج:

- أنت مجنون!

أفترّ ثم انهمر وهو يتمتم أمرًا، فقالت أرامينتا:

- أخبرني بما يدور بداخلك...

- هل أصبحتِ دكتورتي؟

- من اليوم؟ أجل أنا دكتورتك أخبرني بمرضك...

فرك شاربه ثم أعاده لوضعه الطبيعي ساقطًا على شفتيه، وقال:

- دكتوره أنا مريض بأمر فتاة تدعى أرامينتا.

مدّت يدها نحوه وأخذت من الطاولة نظارته الطبية، ثم ارتدها، وقالت:

- لماذا أنت مريض فيها؟

- لا أعلم لماذا أهتمّ لأجلها مع العلم أن معرفتي فيها كانت معرفة غريبة وغبية، وكانت تودّ إلحاق الضرر فيني!

نزعت أرامينتا النظارة الطبية باسمة في ثغرها، وقالت:

- لا تدري، أغلب العلاقات الناجحة تكون بدايتها تعيسة، ولكن لم تجيبني على سؤالي، لماذا أنت مريض فيها؟

رفع سند أكمام قميصه، واستند على الطاولة، بعد أن أتى المشروب الترحيبي للمطعم، ثم قال:

- أنا كطبيب نفسي من النادر أن ألتفت لامرأة، خصوصًا أنني أعرف تصرفات كل البشر ودرست كل الحركات والعقول، بل أنني متمكّن في ذلك جدًا، لكن عندما تهزمني فتاة طائشة، وأعجز عن حل لغزها، وتجعلني في حيرة صعبة، بل الأدهى من ذلك عندما أصابت عقلي بنسيان كل الذي تعلمته ودرسته ومارسته، وأعود من حيث كنت لا أعرف التصرف الصحيح، هذه فتاة ذكية جدًا وتجبرني على أن أراها وأُبحر في أعماقها، هذه الوحيدة في العالم التي هزمت علمي وتمكّني، وهي الوحيدة التي تستحقّ أن أجلس معها الآن رغم تعبي، ولو كانت تُريد بي الضرر لم أشاهد العكس على وجهها، ولم أحسّ بضحكتها الصادقة التي أنا أعرف تمام المعرفة أنها لم تجرّب هذا الشعور سابقًا...

ثم نادى النادل فورًا ليطلب، وقبل أن يأتي قال:

- أعلم أنكِ الاستثناء، في عالم التشابه.

ثم أتى النادل وكانت أرامينتا مذهولة من تحليله الذي أصابها كأنه يرقد في قلبها ويعرفها منذ أن خلقها الله، وهامت على صمتها وهي تنظر إلى سند كيف يتحدث بلباقة إلى النادل ويطلب بلغة متمكنة بأسلوب حصيف، وهامت في تغبّش عيونها وانطلاق خيالها حتى وعت على نفسها بعد أن ناداها سند...

قالت وهي تودّ أن تجعله يفهم أن طلباته مُستجابة، ورغباته ليس لها إلا السمع والطاعة:

- لبيه...

استحسن الكلمة من لسانها، وأطلق قلبه مستشعرات عانقت عقله، فقال:

- طلبت على ذوقي، هل هناك طبق تريدينه؟

- كل ما تطلبه سأحبه.

***

تأنّست أرامينتا لوجود سند في حياتها لتستند عليه، وتحرّرت لوهلةٍ ضائعة من قفص كنان الذي لازمها في صيفها وشتائها، وصغرها ورشدها، بل أنها بدأت تتولّد

فيها فكرة أن تتمرّد على كنان، وتخلع الطاعة له، لكنها حاولت أن تنسى ذلك في لحظتها الجميلة هذه وتعيش ما تعيشه من مشاعر لم تكن تعرفها...

قالت لسند بعد أن انتهت من تناول الطعام:

- بكل صراحة؟ اختيارك للمطعم كان موفقًا!

بادلها إعجابه بإتقانهم للطبخ اليوم، وأخبرها أنه من المطاعم المفضلة لديه، ثم عَبَر ذلك بتفرّده المتّزن، وقال:

- أريد أن أسألكِ سؤالًا لا علاقة له بالمطعم...

كانت أراميننا تمسح يديها بالمنديل المُبلل، فقالت:

- لبيه...

- إن كنتِ ستقولين ذلك بين الحين والآخر ستجعلينني أقع في مصيدتكِ وتكسرين قلبي، ثمّ تنتصرين!

ضحكت أراميننا ضحكةً مُهذّبة، ثم أخفت نفسها في كلتا يديها، وقالت باستحياء:

- أتعلم؟ أنا غبية لأنني أخبرتك بالحقيقة، ستقول لي دائمًا أنني أريد أن أكسر قلبك...

قال:

- طِوال حياتي لم ينكسر قلبي إلا مرةً واحدةً.

- كيف؟

- عندما مات أبي وكنت لم أتجاوز العاشرة من عمري، كنت أنتظره في كل يوم أن يعود، لكنني فهمت بعد ذلك ما معنى أن يُدفن قلبك بعد أن يموت الأب، هذه المرة الأولى والأخيرة التي ينكسر قلبي فيها، بعد ذلك لا أحد تجرأ حتى عرفت أرامينتا.

كانت تراه وهو يتحدث بعيونها التي تتلألأ من حديثه، فقالت والدمعة تقف على جفنها:

- أعدك بأنني لن أكسر قلبك مهما كلفني ذلك!

أيّتها الفتاة المُذهلة، لا زلتِ تبرقين.

لم تضع الأيام يدها على الجنة في قلب أرامينتا أكثر من وضعها فيما تعيشه من حلم لم تكن تتوقع أن يُصبح واقعًا، وبات انجذاب سند لها أمرًا حتميًا وواضحًا وضوح جموع الإبل في الصحراء، ولم تمرّ على أرامينتا شهرين متتابعين وهي تهيم وتطير في فلك السعادة والراحة أكثر مما تمرّ في أيامها هذه، بل الأدهى من ذلك أن كنان زارها سبع مرات خلال الشهرين لكنها في كل مرة لا تُعطيه جوابًا وتحاول أن تصدّ عنه حتى لو شعرت بأنه دخل بداخلها ويؤذيها في نفسها، وأعطت مجالًا أكثر لسند أن يتعمّق فيها، لكنّ الشيء الذي استمر بينهما، هي الرسائل المشفرة التي أحباها، وباتا يتلذذان في أن يفهم كل شخص الآخر، حتى أن تلك الرسائل قرّبتهما أكثر من كل يوم ينقضي، وباتت أرامينتا في تعداد العاشقين، وفي البدايات التي لا تعلم ما تخفيها..

أما سند فهو يختلف بتفكيره عن تلك التي سكنته مسكن الزاهد المتعبّد، وزادته حُسنًا وتميزًا، وبات ذلك الشيء واضحًا في عمله، حيث أن سمعته طغت على البلاد والعباد، وازداد شهرةً في مواقع التواصل الاجتماعي إلى درجة أن الجميع بات يعرفه، ويثق في قدراته المُختلفة...

لكنّه كان يجهل أمرًا رغم أنه يعرفه، يجهل أنه لماذا اختار أرامينتا؟ ويعرفه لأنها فعلت أمرًا مميزًا في دخولها

لشقته قبل شهور، وجعلته يبحث خلفها، وغلبته في ذكائها، وهو الذي يحبّ الذكاء جدًا..

استمطرت القلوب مطر الحب الخفي، بعد أن كانا يلتقيان كل أسبوع مرة في مقهى EMLS ويكتفيان في بقية الأسبوع بالمكالمات الصباحية، والرسائل المشفّرة في المساء...

-تعدّدت أسباب التواصل والحبّ واحد-

وفي مساءٍ بارد الهواء، بعث سند برسالة إلى أراميننا، وهي تجلس مع عمها عيسى، وأخبرها بشوقه في رسالة مُشفّرة...

كتب:

-من سند إلى أراميننا-

سبحان الذي خلق حنين الأم لصغارها، والذي جعل القهوة إدمانًا دونها يشعر الإنسان بالصداع والتوتر، لم أفهم ما معنى الشوق إلا بعدما تعمّقت بقصائد امرؤ القيس، وكنت قد شاهدت فيلمًا لوحدي، لا أعرف فكرة المشاركة بالرغم من أنني لا أحمل مشكلة في ذلك!

قرأت أرامينتا رسالته وهي في أوج حديثها مع عمها، فابتسمت وأتّضح ذلك عليها، فسألها عمها:

- اجعليني ابتسم معكِ...

نظرت إليه بعد أن أخفت الابتسامة، فقالت وهي تفاكه عمها:

- عمي؟ قُل لزوجتكِ أمل أن تجعلك تبتسم...

ضحك ولم يجيبها فاستأذنته في الخروج إلى الحديقة الخلفية، ثم مشت وهي تبعث لسند رسالة قبل أن تجلس على كرسيّها الخشبي الذي يتأرجح بجانب نافورة صغيرة...

كتبت:

-من أرامينتا إلى سند-

رأيت ذات يوم على التلفاز برنامجًا وثائقيًا يحمل الغرابة في محتواه!

تخيل هناك غزالة ويجول حولها الأسد، الغريب في الموضوع أن الغزالة لم تفكر بالهروب على الرغم من علمها بأن هذا الأسد بنسبة كاملة سيأكلها، لكنها استسلمت لوجوده، وارضخت قلبها نحوه.

الصدمة

بدأت أرامينتا قبل أيّام باتخاذ خطوات صادمة بمصير حياتها التي لم تعد تحتمل القلق الذي ألزمها سنواتها كُلّها، وكان القرار يختصّ اختصاصًا واضحًا في ذهنها أنها تريد التخلص من كنان، فقامت بوضع سماعات على أذنها كل يوم قبل أن تنام لتسمع سورة البقرة كاملة وتُعاد كلما انتهت هربًا من صوت كنان الذي لا يأتيها عادةً إلا في الليل.

وكانت تلك الخطوة من تدبير سند الذي بدأ بالفعل يتدرج معها في المحاولات، ويعينها على ذلك، بل أن رغبته في أن تعود أرامينتا إلى طبيعتها كان واضحًا، وقتاله لأجلها كان أكبر برهانًا على أنه يهتمّ لأجلها...

كان الأمرّ فعالًا في البداية، لكنها في ليلة من ليالي المحاولات العديدة أحسّت بأن سماعتها تُنزع من أذنها وهي تُغمض عيونها راغبة في النوم، لكنها كانت بين الحلم واليقظة، إلى أن سمعت صوتًا غاضبًا يوبّخها، قائلًا:

- هل نسى قلبكِ جدتكِ يا أرامينتا؟ هل أنستكِ السنين توجيهاتها ونصائحها؟

كانت تشدّ على جفونها بالانغلاق الشديد وكأن الصوت يزعجها ويطعنها، وكان كنان يشدّ من ملامه قائلًا:

- سأرحل الآن، لكن لا تنسين جدتكِ صالحه، فهي التي أخبرتكِ بأن تتجاوزين المهمات الثلاث!

فتحت عيونها بعد أن تذكرت ذلك!

وارتقت بظهرها تبحث عن كنان، وقالت:

- هل كنت تعلم؟؟

لم تسمع منه جوابًا بعد أن أخذ نفسه ورحل عنها فعلًا، وظلّت أراميننا تشهق باكية لوحدها لا تجد سبيلًا للسجن الذي تم إغلاقه في صدرها دون مفتاح، وقد تم تكبيلها بسلاسل القلق والحيرة، فأين السبيل من النجاة؟

في اليوم التالي

مقهى EMLS

الساعة السابعة مساءً

7:02م

كان هناك موعدًا هامًا بالنسبة لسند في لُقيا من أفضحت مشاعره وسكنت شراييه، وكانت أرامينتا تتحدث بحزنها العميق عن فشلهما في الخطة بعد أن أتاها كنان أمس وأحزنها فيما قال، واختتمت سرد الموقف لسند وهي تقول:

- أحبّ جدتي جدًا يا سند، أحبها أكثر من نفسي، وأريد فعلًا أن أعلم كيف كانت حياتها الخفيّة، أنا ضائعة...

قال سند دون أن يترك مجالًا للصمت:

- أتضيعين وأنا معكِ؟

أغمضت أرامينتا عيونها الذابلة، ثم فتحتهما وخانت الدموع صمودها، ثم رأت سند وقالت بنبرة مبحوحة:

- أحبك لأنك في اللحظة التي اعتقدّت فيها أنني سأتوه، وجدتّك!

ضربت بحديثها أوتار قلبه وهو الذي لم يهتزّ لمثل هذا الحديث من قبل أبدًا، فجيّشت مشاعره عاطفته، وكبّل الحبّ مواقع العقل والمنطق، فوضع ذراعيه على الطاولة ومسك طرف منديلًا ثم قال:

- امسكي يا أراميننا الطرف الآخر...

استغربت رغم انهيارها، لكنها أطاعته كما تُطيعه دائمًا فيما يفعل، وكان سند ينظر إلى عيونها مباشرة، فقال:

- قدرنا أن نكون معًا، وأن تسقط علينا السماء مرارًا كي نرتفع معها في النهاية، فأسبح في سمائكِ، واستظلّ تحتكِ قمرًا ينير أحلامي بقربكِ فتكوني لي حبًا لا يبهت ويغيب..

ثم ابتسم لها ابتسامةً كأنه يُعانق أحزانها، وأفلت طرف المنديل وهو يقول:

أمسحي دموعكِ الغالية، واسمعيني جيدًا، هل تسمعينني؟

ارتشفت بعضًا من الماء كي تهدأ وتسمع، ثم قالت:

- أسمعك....

قال:

- وجودكِ بداخلي يجعلني أطمئن، فلم تنبت البذور زرعًا لولا الماء الساقط عليها، ولم ينبت سند لولا وجود أراميننا بحياته!

أنتِ الماضي، وحاضري الذي لا يشتعل إلا بكِ، ومستقبلي الذي انهمر بالتفكير به معكِ، أنتِ الضلع الذي يجعلني أستقيم، والمكان الذي يعجّ بالهدوء رغم صخبه، والحب رغم عتابه، والحزن أحيانًا رغم سعادتنا بجوارنا، وأن نذكر الفراق رغم أننا لا نقوى عليه.

لم أعاهدكِ سابقًا عهدًا يكون ميثاقًا ومرجعًا، أما الآن فأنا أعاهدكِ على الميثاق والمرجع الذي سيُكتب اليوم:

- سأكون لكِ مُرشدًا للطريق وعاشقًا لقلبكِ الذي لم أكتفي يومًا عن عشقه، وسأحمل راية وجودكِ في حلّي وترحالي، لأنكِ أساس كلّ جيشٍ أحاطني بالقوة والثقة، لن أترك يدكِ في منتصف الطريق، أنتِ حبيبتي، أنتِ زوايا وجودي، سنجعل الأيام الجميلة تزهر مع الورود البيضاء التي ملأت حديقة المكتب.

اجهشت أرامينتا بالبكاء وقالت: هل تقول لي هذا الكلام كي تواسيني فقط في مصائبي؟

قال وهو يدور بكوب القهوة على الطاولة:

- أحببت أن أعرفك قبل شهور لأنكِ كنتِ مميزة، وبعد أن عرفتكِ معرفةً قويةً حيث لا يمرّ يوم إلا ونضحك معًا ونتحدث بالألغاز إلا وكنت أراهن نفسي عليكِ، كل الأمور تخضع للمنطق، إلا الحب، لا يخضع إلا للقلب، وأنا أحببتكِ بقلبٍ صادقٍ يُقاتل من أجل أن يراكِ سعيدةً ومطمئنة!

- سند!!

- عيون سند...

مسحت بالمنديل دموعها، وقالت:

أحبك، دائمًا، لأنني في كل مرة أشعر بأنني أسقط، أراك فابتسم وانهض من جديد.

قال سند:

- لديّ الحل الذي لن تشعري بعده بأنكِ ستسقطين!

- وما هو؟

- هل تتزوجينني؟

فتحت أرامينتا فمها عاجزة عن الردّ....

قال سند:

- لا أريدكِ أن تحاربي في الغرفة وحدكِ دائمًا، أريد أن أشاركِ هذه الحرب وننتصر.

الانتصار

عـادت أرامنيتـا إلـى منزلهـا وهـي تشـتدّ فرحًـا غريبًـا كأن الحيـاة عـادت إلـى صدرهـا مـن جديـد، وضـخّ قلبهـا ضـخّ الانتشـاء لقـادم الأيـام، فتناولـت حبوبهـا، وارتاحـت فـي مضجعهـا، لكـنّ ذلـك لـم يسـتمر بعـد أن اقتـرب إليهـا كنـان وهـي تشـعر فيـه يعـمّ أرجـاء الغرفـة بحضـوره وتواجـده، فلـم تنتظـره أن يتحـدث هـذه المـرة مثلمـا يفعـل بالشـهور الماضيـة، بـل أنهـا هـي مـن كانـت تنتظـر قدومـه...

قالت:

- أأنت موجود؟

سـمعته يضـرب أذنهـا فـي صوتـه ويـدوي مسـامعها، فرفعـت يديهـا قائلـة:

- لحظة يا كنان، أنا اليوم من سيبدأ بالحديث!

سـكت كنـان، وضحكت أرامينتـا بصخـب، كأنهـا انتصـرت هـذه المـرة...

قالت:

- كسرت قلب سند.

قال كنان متعجبًا:

- كيف؟؟؟

أخذت أرامينتا تتمطّى على الفراش كما لو أنها فراشة في بستان يغمره الورود، وقالت:

- في الأشهر الماضية، أرغمت نفسي أن أكرهك، وأن أميل إلى سند، كي أجعله يشعر فعلًا بأنني أريده بجانبي دائمًا، وحتى يعتقد أنني أكرهك وأريد التخلّص منك، وهذه المهمة تعتمد على أن أعيش شعورها وتفاصيلها، لذلك كنت أتهرب منك وأتقرّب منه، ولا أخفيك سرًا بأنني فتحت له قلبي، وأخبرته بكل شيء حتى يصدقني، واستمراري الطويل بجواره هو أكبر برهان أنني أريده...

ثم أخذت نفسًا قليلًا، وقالت بعد أن أغمضت عيونها:

- اليوم طلب يدي للزواج، وبهذا الطلب قد وصلت إلى غايتي، وبالنسبة للمهمة اعتقد أنني انتصرت فيها بالعلامة الكاملة، أما الآن، فما رأيك بما فعلته؟

انبهر كنان من دهاءها وفطنتها التي تعدّت عنان الكواكب، وقال مذهولًا:

- أنتِ أذكى مما توقعت، جدتكِ حتمًا فخورة بكِ!!

قالت وهي في شعور الانتشاء:

- أعطني المهمة الثالثة.

- لا أستطيع أن أعطيكِ إلا عندما نتأكد أنكِ فعلًا كسرتِ قلب سند، كيف ستجعلينني أتأكد من ذلك؟

- اليوم أخبرني بالزواج، واستحسنت أمامه ذلك لكنني افتعلت الخجل مثلما تفعل أيّ فتاة إن وصل الأمر للزواج، بمقدوري الآن وأنت بجانبي أن أبعث له رسالة تُحطّم قلبه!

قال كنان وهو يحوم حولها بظلاله:

- أعطيتكِ الأذن لذلك...

-من أرامينتا إلى سند-

بما أنك طلبت يدي اليوم للزواج، أستطيع أن أقول بهزلية أنك أحمق وفاشل في عملك، ومتسرّع في قراراتك، ولو كان هناك رجلًا مكانك لما فعل كل الغباء الذي فعلته أنت...

كيف تصّدق فتاة دخلت عليك الشقة وكذّبت في ذلك؟ كيف تصدّق فتاة أخبرتك بأن هناك جنيّا معها وكانت مهمته الثانية تحطيمك؟

أنت أفشل مما توقعت، واستغرب بكل صراحة كيف لك أن كسبت كل هذه الشهرة؟ وكيف الناس يثقون باستشاراتك الوهمية؟ أنا آسفة لأنني سأقول لك: أنت دكتور نفسي يحتاج إلى دكتور نفسي!

سند، أنت ضعيف، وقلبك هشّ في مشاعره....

لا سلامًا في النهاية على أمثالك، شكرًا لإخفاقك في اصطياد كذبي، لأنك جعلتني أنجح بالمهمة أيها العاجز المتخاذل الفقير.

أرسلت الرسالة الصادمة إلى ذلك الرجل الذي غرّته الدموع، ومشى عاطفًا خلف أنثى أهلكته ودمّرته في قلبه، وألقت أراميتا بعيونها إلي كنان، كأنها تراه، فقال كنان:

- هل أنتِ تشاهدينني؟

- لا، لكنني منتشية يا كنان، هذا الانتصار من أجل جدتي!

قال بصوته الذي يدبّ أُذنيّ أراميتا:

- أتذكرين عندما قالت جدتكِ أنها حتى عندما تموت ستكون بجوارك دائمًا؟

حنّت أراميتا ورفرف قلبها لسماع ذلك، وقالت:

- كيف لي أن أنسى!!!

- ستكون المهمة الثالثة على صوتها، لأنها فعلًا معكِ...

انصعقت أراميتا وتكهربت في مكانها قائلة:

- على صوتها؟ كيف؟؟

قال كنان:

- استمعي جيدًا...

ثم رأت ظلّه يرحل إلى الممر وما لبثت تنتظر ثوانٍ معدودة حتى وجدت ظلًا يشبه ظلّ جدتها يقترب، فشهقت وتبدّل ربيعها إلى خريف بعد أن سمعت صوت جدتها تقول:

- أراميتا، يا حبيبتي أنتِ، لم تخيب تربيتي بكِ بعد أن أنجزتِ المهمة الصعبة!

أنّت أرامينتا وتوجّعت في محراب صوت جدتها، وأخذت تولول وتصيح قائلة:

- جدتي! حبيبتي! أأنتِ معي دائمًا!!!

- أجل يا أرامينتا، والمهمة الثالثة أنا من سيخبرك بها حبيبتي...

- أخبريني، والله سأفعلها لأجلكِ مهما كانت!

سمعت صوت جدتها وهي تضحك كما كانت تضحك عندما تشعر بالفخر...

قالت الجدة:

- أريدكِ في المهمة الثالثة، أن تقتلي صالحه الصغيرة....

لم تصدّق أرامينتا بعد صوت جدتها حتى نطقت بالمهمة الثالثة الإعجازية، وبدا عليها ذلك ثقيلًا، فتعرّقت وانصبّت أوردتها بعظامها صبًا، فما عادت تَقْدِر أن تفتح عيونها من هول الصدمة وباتت كأنها قد دخلت في حالة صرعٍ ألزمها على الانتفاضة في سريرها حتى فقدت وعيها وضاعت في فضاء الضائعين.

بعض المواقف، تتمنّى لو أنك تعيشها حلمًا
فتنهض ويرتاح قلبك
لأنها مجرد حلم!

نهض سند من سباته بعد أن عاش ليلة كان ينتظرها، وما إن فتح عيونه بعد أن نام نومًا هانئًا حتى نظر إلى هاتفه وأخذ يبحث عن فتاته القابعة بوتينه...

نظر إلى الرسالة نظرةً طويلة، وقرأها مرات عديدة!

الغريب أنه لم ينهزم لمحتوى الرسالة، وأخذ يردد في عقله: هذا لا يُعقل...

ثم بدأ يفكر بكل التفاصيل التي كانت بصحبة أرامينتا، وأصرّ أن يكذب الرسالة، ويكذّب أرامينتا...

وقف على أعتاب هاتفه طويلًا وهو يحلّل، ويفكّ شفرةً زادته حيرة، فوجد أولًا أن الرسالة وصلته في وقت متأخر من الليل، وهو الشيء الذي جعله يشكّ في المحتوى المكتوب، لأن أرامينتا في هذا الوقت لم تبعث له رسالة أبدًا من قبل، وكانت تكتفي في أول الليل في تبادل الرسائل المشفّرة معه فقط...

أخذ عدم التصديق منه كُلّ مأخذ، واعتذر عن عمله لهذا اليوم، وذهب إلى مقهى EMLS يفكر طويلًا وهو يقلّب الرسالة ويفكّكها تفكيك الجندي للمتفجرات، فاتصل على أرامينتا لكنها لم تجيب طبعًا، وبعث لها رسالة مشفّرة كتب فيها:

-من سند إلى أرامينتا-

نحن نشقى في الحياة ونكبت في داخلها حتى يتغلغل المرض إلى أجسادنا، ولا نتعافى إلا بعد أن نجد الشخص المناسب، فنُلقي عليه كلّ همومنا ويكون هو الوحيد الذي يعرفنا من الداخل حتى لو كذّبنا على أنفسنا فيما بعد بأن هذا الشخص كان عابرًا في حياتنا، لن يعبر الشخص الحياة إن أفصحنا له عن ألمنا وشاطرنا الألم، لأن الإنسان بعادته يحبّ التودد والاقتراب ممن يفهمه.

القطّة لا تهرب من منزل من ربّاها أبدًا ولو ترك الباب مفتوحًا، ليس لأنها لا تريد ذلك، بل هي في فطرتها تحبّ التحرر والخروج، لكنّ التودد الذي استحسنته ممن ربّاها واعتنى بها ووقف معها في مرضها ولعبها، جعلها ترفض أن تهرب عنه، كذلك قلوبنا، متى ما فتحناها للشخص المناسب لا يمكن أبدًا أن نرحل عنه حتى لو أخبرناه بالرحيل.

كانت أرامينتا تبكي في صباحها بكاء الطفل بعد أن أضاع أهله في مكان يعجّ بالناس، ولبثت في عويلها تفكّر بأن مهمتها الثالثة مستحيلة التنفيذ، لكنّ صوت جدتها كلها يقع على أذنها ترضخ للفكرة ثم تعود في الاستنفار، وكلما نزلت ورأت صالحه الصغيرة تعانقها عناق الراحل المودّع، فتبكي صالحه الصغيرة لبكاء أرامينتا، وتفرّ أرامينتا إلى خارج المنزل لإزاحة الأفكار عنها.

فتحت هاتفها بعد أن سمعت صوت الرسالة، وقرأت رسالة سند بتمعّن وانصياع لما يريد أن يوصله لها، فكتبت له رسالة، ثم مسحتها، ثم كتبت، ومسحت، كأنها تعيش صراعًا داخليًا لا تعرف أين الطريق لأن تفهم نفسها...

أخذت تكتب رسالة له، لكنه سبقها في رسالة قد كتب فيها دون تشفير:

-من سند إلى أرامينتا-

لا أعلم ما حلّ بكِ في الليل يا أرامينتا، لأنكِ في العادة لا تبعثين لي في هذا الوقت، وأعتقد اعتقادًا في نفسي أن كنان وراء الرسالة...

أسمعيني جيدًا، لن أتنازل عنكِ بهذه السهولة، أريدكِ لمدة أسبوع فقط أن تتركي كل دواء تأخذينه، أرجوكِ طبّقي ما أقوله دون أن أرى منكِ رسالة، امتنعي عن كلّ دواء، وأذكر مرةً أخبرتني فيها أنكِ تأخذين من الصيدلية حلوى كانت جدتكِ تُعطيكِ نفسها تمامًا عندما كنتِ صغيرة، لكنكِ للأسف لم تخبريني باسمها، أريد حتى هذه الحلوى أن تمتنعي عنها لمدة أسبوع، أرجوكِ!

وتذكري يا أرامينتا دائمًا أنكِ مُذهلة، ولا زلتِ تبرقين.

حاولت أراميتا أن تتجاهل رسائل سند لكنها في كل وقت تشعر بأنها تتجاهله قلبها يحنّ له كما كانت قبل رسالتها القاسية، لم يتكدّس اليأس فيها أكثر مما كان عليه في ساعتها هذه، وثَوَت تتصارع في داخلها كما يتصارع الحقّ مع الباطل، حتى استسلمت وقالت في نفسها: لِمَ لا؟ لن أتناول الحلوى والدواء، فقط سأجرب!

ثم قالت: ليتكِ يا جدتي تُقبلين إليّ وتشاطرينني الوحشة والكآبة التي أمرّ فيها وتزيحي عنّي بعضًا مما أشقى به في الحياة، فإن عمري على ترفه وسعته وعيشتي التي يتمنّونها الكثير من الناس، تعيس جدًا، كلما وضعت قلبي عند عابر وجدّتي أنفر منه، فأنا أعيش بعد موتكِ في ظلمة لا يعلمها إلا الله، ولولا أني أعلم أن المهمات لن تسعدكِ، ما أقدمت على واحدة منهم، لكنني في هذا المأوى نزولًا عند إرادتكِ ورغبتكِ، فارقدي بسلام، لا تزال صغيرتكِ أراميتا تجاهد الشقاء لأجل أن ترضى روحكِ عني.

ولبثت على ذلك تهجس وتكابد آلامها ومهمتها الثالثة التي عجزت عن تفسيرها، وحلّ عليها الليل وقد اتخذت غرفتها مسكنًا لها طوال هذا اليوم الكئيب، دون حول لها ولا قوة، تتردد في أخذ الدواء، وتتقلب في أفكارها كما يتقلب الطير في السماء، فلم تجد وسيلةً لإدمانها،

واتجهت إلى ركن الدواء، فأخرجت الحبوب، وأظهرت الحلوى، وكانت قد استسلمت في لحظتها هذه، لكنّ أمرًا تجهله وقع في رأسها بعد أن وضعت كلّ شيءٍ في مكانه وأصرّت أن يكون إتباعها لسند آخر شيء تفعله في هذا اليوم.

امتثلت لنعاسها، بعد أن هربت من التجمّع العائلي لهذا اليوم حتى لا تقع في حضنها صالحه الصغيرة...

استقرّت في سريرها والدموع لم تجفّ من الرموش كلما تذكرت شناعة المهمة الثالثة، وكانت تسأل نفسها سؤالًا طائشًا: لماذا أقتل صالحه الصغيرة يا جدتي؟

فرأت ظلًا يقترب إليها، لكنها هذه المرة لم تراه كما كانت تراه في كل يوم، كان الظلّ باهتًا، وتشعر أن هناك أنسيًا قد قَدِمَ إليها، فتسمع صوت جدتها، وتبكي كأنها لم تبكي من قبل، وتُلقي عليها سؤالًا يثقلها:

- جدتي لماذا هذه المهمة الشنيعة؟

وتسمع جدتها تقول باسمة:

- هي مهمة الحقّ في منزلنا هذا، وستدركين أنكِ فعلتِ الصواب بعد الانتهاء من صالحة الصغيرة...

- لكنني أحبها يا جدتي!!

- تحبينها أم تحبينني؟

أرخت أرامينتا أكتافها بعد أن كانت مشدودة، وقالت بانكسار:

- أنتِ طبعًا، أنتِ...

ثمّ رأت الظلّ يمشي نحو الممر لكنها فركت عيونها لأنها شعرت بأنها قد شاهدت شخصًا حقيقيًا!

ركضت وراءه بعد دقيقة من التفكير، لكنها تأخرت وأضاعته كما تضيعه دائمًا، فاستلقت على سريرها وهي تعتقد بأن الهلوسات لا تزال تدبّ عقلها دون توقّف.

تعالي معي، أريدكِ أبديّةً

-من سند إلى أرامينتا-

دائمًا يثق المريض بالدكتور عندما يصرف له دواءً معينًا على الرغم من جهله لتركيبة الدواء، لكنّ الثقة في كل شيء بالحياة هي أساس علاقاتنا، كذلك عندما يخبر الدكتور المريض بأن هناك أنواعًا من الأدوية تكون محظورة عليه على الرغم من أنها كانت مسموحة في فترة من فترات حياته، فيطيعه في ذلك ليرى النتائج.

بعد ثلاثة أيام من رسالتي الأخيرة أرجو أنكِ ألتزمتي فيما أمركِ به دكتوركِ سند.

***

كانت أرامينتا تعاني وتكابد أيامها بسبب انقطاعها عن أدويتها بل أن ذلك الأمر جعلها ترقد بالمستشفى دون علم من سند، وقد أحسّت بأحاسيس غريبة لأول مرة تحسّ بذلك، لأنها كانت تتناول الدواء لفترة طويلة، وتتناول الحلوى طيلة حياتها، فهو الشيء الأخير الذي يُذكّرها بجدتها، لكنها وبعد أن قطعت كل شيء، بدأ جسمها يفرز الاعراض المنسحبة، وبدا لها أن الحياة أبسط مما كانت في مخيلتها، وفي أول وهلة استوطنت غرفتها بعد أيامها التي توزّعت بين المستشفى والمنزل، أرسلت إلى سند رسالة غريبة....

-من أراميننا إلى سند-

قرأت ذات يوم في كتاب -علمتني سورة غافر- سطرًا رائعًا يقول فيه الكاتب مشاري بودريد:

لعلك تعيش في رأسك حياةً تختلف عن الحياة التي يعيشها الناس، بسبب عادة خاطئة كنت تفعلها، لكنّ هناك شخصًا لا تعرفه يدعو لك بظهر الغيب، فيُزيح الله عن رأسك غشاء الغفلة، وتعود من جديد في هذه الحياة كأن ما كنت تعيشه كان وهمًا ينبع من وراءه كُلّ الأنعام التي كنت تنتظرها.

-من سند إلى أرامينتا-

أُسرت في نفسي بفتاة لو أن رجلًا مكاني لانتقم من تصرفاتها، لكنني كنت ولا زلت وسأبقى مؤمنًا أن البذور التي في قلبها لم تُخلق لولا أنها تحمل من الصفات الحسنة جميعها...

في الطبيعة البشرية الناس ليسوا سواسية، ومن يريد شخصًا يُشبه الشخص الذي في مخيلته لن يجده، لأن مراحل الكمال ليست من الفطرة البشرية، لكن من يبصر في الصفات الحسنة سيجد أنه يصل إلى مرحلة الرضا، ولذلك تلك الفتاة التي أسرتها في نفسي سيكون لها شأنًا عظيمًا في الحياة.

قطنت أراميننا غرفتها وهي تلتوي من شدّة أن العادات التي كانت تمارسها لم تعد موجودة، وأنها بعد أن امتنعت عن الأدوية كان يصيبها الغثيان الشديد، وبدا لها الثقل في رأسها يزيد بعد كل يوم ينقضي، وأخذت في ليلتها هذه تسكن فراشها دون أن تتحرّك لعل الألم الذي حلّ بجسدها يزول ويختفي، وما لبثت في هدوئها ومحاولاتها وركود حركتها بعد أن أغمضت عيونها حتى شعرت بأن شخصًا يتغلغل إلى غرفتها، لكنها لم تكترث وأخذت تتنفس بعمق بعد أن شاهدت مقطعًا لمُدرب يختصّ بعمليات التنفس الصحيحة لسكينة القلب ونبضاته، لكنها في طليعة أذنها تسمع الخطوات تقترب وكأن لصًا أحاط زوايا الغرفة، فاعتقدت أنه كنان، وحاولت أن تكتم ذلك في صدرها، لكنها تنهزم كلما تذكرت أن كنان بداخله جدتها صالحه، وما استقرّت ذاكرتها حتى فتحت عيونها فانصعقت مما رأته!!

من شدّة وقع ما تراه، أخذ رأسها ينصبّ عرقًا لكنها لم تُفصح عن ذلك علنًا، وبدأت في ابتلاع ريقها ألف مرةٍ في الثانية، ولم يستقر قلبها عن تنقيب أضلعها، وسمعت صوتًا يخرج لأول مرةٍ تسمعه في منزلها، كان يقول:

- كنان هُنا، هل قررتِ كيف ستنجزين المهمة الثالثة؟

اهتزّت روحها كما لو كان جسدها يستنشق آخر لحظاته في الحياة، فرفعت اللحاف فورًا وغطّت رأسها وهي تشتدّ خوفًا، وخارت عيونها تستنزف ردع ما تشاهده، فقالت صارخةً رعِشة وهي مختبئة تحت الغطاء:

- أرحل!! أرحل!!!!

حاول كنان أن يجاري خوفها الغير مُبرر لكنه فشل لأول مرة بعد أن استغرق كل محاولاته، بل أنه أظهر صوت جدتها حتى تخضع أرامينتا، لكنها أبت هذه المرة في أن تطيعه وتطأطأ الرأس له!

رحل وهي تسمع خطوات الرحيل، ثم لبثت تحت الغطاء دقائق ليست بالقصيرة، وبمجرد أن أطمئن قلبها لاختفائه بعثت رسالة عاجلة إلى سند، كتبت فيها:

-من أرامينتا إلى سند-

أريدك أن تلغي كل مواعيدك في العيادة صباحًا، وسأراك بشكل طارئ يا سند، حدث أمر لم أتصوره في حياتي أبدًا ولا أعرف حقيقته!

***

لم تنم أرامينتا بتاتًا واستغرق ليلها يشعّ بالصدمة مما رأته ولم تصدّقه، اعتقدت اعتقادًا جازمًا أنها في مرحلة الهلوسة أو أنها وقعت في مرض الانفصام، وكانت على هذا الحال حتى ارتدت الشمس ثوبها الأول وأطلق الصباح نفسه للعنان، فارتدت من الثياب أبسطها، وخرجت من المنزل دون أن ترتّب شعرها المبعثر، ووصلت لها رسالة من سند كتب فيها: أنا في طريقي إلى المقهى....

تشقلّب عقل أرامينتا من رأسها كلما تذكرت ما حدث، ووصلت إلى المقهى قبل الوقت المحدد، فوجدت أن سند ينتظرها، تركت هاتفها وحقيبتها بالسيارة ونزلت هلعة كأنها انتظرت هذا اللقاء منذ زمن بعيد!

رآها سند مذعورة فطلب من النادل إسماعيل قارورة ماء ليسقي ذعرها ويطمئن عيونها التي اتسعت من مكانها، قالت دون أن تُعطي سلامًا:

- رأيت الدكتور محسن!

لم يفهم سند ذلك، وقال مستفسرًا:

- أين؟

قالت وهي تتلعثم:

- في غرفتي! أتاني وهو يدّعي أنه كنان!

قال لها مسرعًا:

- لا تقولي أسمه مثلما اتفقنا يا أرامينتا!

- لا يهمني يا سند! المهمّ أن أعرف هل كنان هو الدكتور محسن؟؟؟

أخبرها أن تبلل فمها وتشرب الماء قبل أن يبدأ النقاش ويفهمها، ففعلت ما طلب منها وهي ترتجف، ثم قال:

- هوّني عليكِ يا أرامينتا، أخبريني بما حدث بالتفصيل...

لم تستطع أن تسيطر على قشعريرة جسدها، وارتعاد يديها، فآثر سند على نفسه أن يعينها بعد أن قال:

- ما كان جمالكِ مُمكنًا في عالمنا هذا، حتى رأيتكِ، أن يستحلّ حديثكِ أضلع الحياة، وينثر فيه الحياة، أن تتفرّد عيونكِ بين الغيوم، وينطلق شعركِ في السماء، وتكون لأنوثتكِ شكلًا يُشبه المستحيل، لا أحد يعرف وصفًا يليق بكِ، أنتِ مجنونة بنظرتكِ، تُلقينها كالرصاصة على كلّ الناظرين، فيسقط من يسقط معلنًا هزيمته في حرب جمالكِ، أرامينتا المُذهلة، لا زلتِ تبرقين.

بكت بكاءً شديدًا، وقالت:

- والله يا سند الذي أعيشه في حياتي أكبر مني....

- لكنني دائمًا بجوارك، وسننتصر في هذه الحرب حتمًا!

ثم عاد يقول:

- حبيبتي أنتِ، أخبريني بهدوء حتى نفترس الخلل بذكائنا!

أخذت نفسًا عميقًا إلى رئتها، ثم أسكنته ثوانٍ، وصمتت بعد ذلك قليلًا، وشعرت بأنها لابدّ أن تستند على سند، وتضعه في قلبها حلًا أخيرًا قبل أن يودّع رأسها العقل...

قالت:

- مثلما أخبرتني لم أتناول الدواء أبدًا، وجعلت ذلك فرصةً أخيرةً لكل شيء، لم أذكر يومًا واحدًا في حياتي أنني امتنعت عن تناول الحلوى، لأن هذا يذكرني بجدتي جدًا، لكنني مجرد أن امتنعت عن الحلوى والأدوية بدا جسمي يؤلمني واستفرغ في كل يوم أيّ طعام أتناوله، وكان رأسي يشتدّ ثقلًا كل يوم، لكنني في داخلي كنت مصرّة على ذلك!

استحسن سند إطاعتها له، وقال:

- أحسنتِ!! ثم ماذا حدث؟

- في المرة الأولى التي أتاني كنان بعد انقطاعي عن الحبوب كنت أسمع صوتًا باهتًا ليس كما كنت أسمعه سابقًا، وأحسست بوجود بشريًا أكثر من أن يكون

جنيًا، لكنني أدركت أنني تحت تأثير الأعراض الجانبية للأدوية، لكن ما جعلني أطلب رؤيتك بشكل عاجل اليوم هو أنني رأيت في الأمس الدكتور محسن يا سند!! رأيته حقيقيًا وخفت أن يفعل بي أمرًا شنيعًا فهربت في فراشي داخل اللحاف وغطيت نفسي كاملةً!!

سمعها سند بكل تمعّن، ثم قال:

- سأخبركِ بمعلومة، بعض الأدوية تكون أعراضها الجانبية إن انقطعنا عنها فجأة أعراضًا قاسية، ومن تلك الأعراض مثل الذي حدث معكِ، أنا لا أكذّبكِ يا أراميتا، ولكن لابدّ أن نتأكد أولًا!
- كيف نتأكد؟!
- هل جرّبتِ أن تضعي مسجل صوت؟
- لا. أين أضعه؟
- في أيّ زاوية من زوايا الغرفة، وهناك أشكالًا عديدة، وأنصحكِ بأن تذهبي الآن إلى السوق وتأخذي مسجل صوت على شكل قلم، لا أحد يشكّ به.
- وإذا كان الذي أمرّ به مجرد وهم؟

اقترب منها سند، وأفرد ذراعيه على الطاولة قائلًا:

- سنعمل دائمًا على إيجاد حل، لكن هناك سؤال في عقلي: هل قلتِ له أو ظهر عليكِ أنكِ شاهدتيه؟
- لا، لكنني خفت كثيرًا وكتمت ما رأيته في صدري!

- ممتاز، وهل يعلم الدكتور محسن بأنكِ قطعتِ الأدوية؟
- لا، لم أزوره أو أتواصل معه منذ وقت ليس بالقصير.
- كل شيء يسير على الطريق الذي نريده إذًا، والآن ليس عليك إلا أن تأخذي جهاز تنصّت وننتظر ماذا يحدث.

الوهم والخيال
قد يسيطران على الانسان

رفعت أرامينتا راية الحرب برفقة سند الذي جعلتها تقوى أكثر بعد أن ضعفت وتهالكت، واشترت مسجلًا صوتيًا ليتأكدا مما رأته، فالصوت هو المرآة لأيّ شخص، وانتظرت الليل أن يعلن موعده حتى جاء متلبّسًا بالمطر الشديد، وكانت السماء داكنة غاضبة، فوضعت المسجّل على سطح الطاولة الجانبية، وقد تشكل على هيئة قلم، ثم مسكت ورقة كتبت فيها بعض ما تأخذه بإحدى مواد الجامعة، ثم وضعتها على بطنها وتمثّلت كما لو أنها أخذت الأدوية، أدّعت ذلك حتى يصدّقها كنان، وما لبثت في ركودها حتى سمعت صوت خطواته يقترب منها، واستهلّ قلبها في النبض الذي حاولت أن تسيطر عليه، ثم ارتأى في ذهنها ألا تفتح عيونها لأنها كانت كذلك عندما يَقدِم كنان إليها، لا تفتحها إلا نادرًا، فسمعت الأرجل تقف على عتبات سريرها، وكأن قلبها يتحرك من مكانه، لكنّ الصاعقة التي صعقتها قبل أن تصقع السماء الأرض هو الصوت بعد أن تحدّث كنان:

- أرامينتا ماذا حدث بالنسبة إلى المهمة الثالثة؟

قالت وهي تدّعي دوران رأسها:

- لا أذكر المهمة يا كنان، أخبرني...

قال:

- ألا تذكرين عندما أخبرتكِ جدتكِ فيها؟

- أذكر صوتها، لكن حنيني إليها غلب على قلبي التفكّر بأيّ شيء!

أحسّت بالصمت، ثم أسرقت النظر إليه بِخفّة، ورأت أن الدكتور محسن يمسك هاتفه، فأغمضت عيونها وارتعبت في مكانها، ثم سمعت صوت جدتها لكن صوتها ليس كما كان، ومن الواضح أنه لعب بالصوت ببرامج الذكاء الاصطناعي، كان يحاول أن يوهمها بأن جدتها معه، وأنها معها حتى بعد أن ماتت، فسمعت صوتًا يشبه صوت جدتها يقول:

- أرامينتا، أنتِ حبيبة قلب جدتكِ صالحه، سأنتظر أن تتمّي المهمة الثالثة كي يكون معكِ كنان أبديًا، جميعنا ننتظركِ، وسأخبركِ بنفسي بعد أن تتمينها لماذا كانت المهمة بهذه القسوة...

بكت أرامينتا وكأنها كانت صامدة تجاه لدغة أفعى، فأخذت تنحب وتقول:

- لكنّ حبي لكِ ولصوتكِ يا جدتي أنساني المهمة! ذكريني فيها وأعدكِ لا يمرّ هذا الأسبوع إلا وأنا منجزة المهمة على أكمل وجه، أريد أن أفعل من أجلكِ أيّ شيء كي تكوني راضية عني!

لم تسمع صوت جدتها بعد أن قال كنان:

- المهمة يا أرامينتا ستكون قائمة على أن تقتلي صالحه الصغيرة، متى ستنجزينها؟

- هل أقتلها أمام عمي عيسى؟
- لا، ولا أريد أن يعرف بأمركِ، أريد أن نجعل جريمة القتل بالنسبة للعائلة غريبًا...
- هل أخنقها؟
- لكِ مطلق الحرية في اختيار الطريقة المناسبة، لكن لا تجعلي الأمر كأنه متعمّد...

قالت وهي لا تزال تبكي:

- هل جدتي بخير؟
- أجل بخير يا أراميتا وتنتظركِ أن ترفعي رأسها...
- وماذا عن المهمة الأولى؟
- تقصدين قتل ليساء؟
- أجل، رأيت ليساء قبل أيام في نفس المقهى، هل سنعود للمهمة؟
- بعد أن ننتهي من صالحه الصغيرة، سنجد حلًا لقتل ليساء.
- اتفقنا!

ثم رحل كنان وترقّبت نحوه بمراقبة عيونها وهو يسير للخارج، كانت تريد أن تعرف بعض الخفايا، وما إن رحل كليًا حتى أخذت هاتفها واتصلت على سند وهي تهتزّ اهتزاز المرتعب الهلع....

- سند تم تسجيل الصوت!!!
- اجعليني أسمعه...

أخذت أرامينتا القلم، وأوصلته بالحاسب المحمول، لكن سمعت سند يقول:

- لحظة.. هل نلتقي الآن؟
- الآن؟
- أرامينتا، تعالي إلى المقهى فهو مفتوح على مدار الساعة، وأجلبي معكِ القلم، سأخرج الآن...

***

بعد نصف ساعة

في مقهى EMLS

الساعة 11:12 مساءً

- أعطني القلم بسرعة!

أعطته أرامينتا وهي تجلس بجانبه لأنها تريد أن تسمع هل فعلًا فقدت عقلها أم كان الأمر حقيقيًا!

وضع سند القلم بقلب حاسبه الآلي، ثم أسهب يتجاوز البداية الصامتة بالتسجيل، وما استقرّ عند ذبذبات الصوت حتى أوقف التسجيل، ثم رأى أرامينتا، وقال:

- هل أنتِ مستعدة؟

أحاطت أرامينتا لغة الصمت، ثم أشارت برأسها أنها مستعدة...

لبثا يسمعان الصوت، وتعرّق سند مما يسمعه كأنه يعيش فيلمًا لا واقع له في الحياة، ثم أوقف التسجيل ولم يُكمله قائلًا:

- إنه الدكتور محسن!!! أعرفه جيدًا!!!

فتحت أرامينتا فمها ثم وضعت كلتا يديها على رأسها، وقالت متعجبة:

- هل كلّ ما كنت أعيشه كان وهمًا!

أسقطت رأسها على الطاولة بعد أن أشهبت ملامحها وتدفّق الدم حول عيونها، فأعاد سند إكمال الصوت وسمع المهمتين كاملتين بانفجار خيوط عقله، سمع التسجيل كاملًا ووقعت كوارث الأرض في نفسه بما قست على العالمين...

قال:

- لماذا؟ كلّ ما أريد أن أعرفه لماذا فعل كل هذا؟ أرامينتا كنت أكذّبكِ دائمًا ليس لأنكِ كاذبة، ولكن لأنني أعلم أنكِ تسيرين في مرحلة نفسية صعبة، أما الآن فأنا المريض النفسي بعد أن سمعت التسجيل، لماذا؟ لماذا هذه القذارة والدناءة!

انهارت أرامينتا وخارت قواها وما عادت تقدر أن تستوعب أمرًا من أمور الخبث والتدنيس، لكنّ سند حاول أن يكون هو الثابت في هذا الموقف ويضع حلولًا تضع الدكتور محسن في السجن يتعفن بداخله ولا يخرج أبدًا...

قال:

- لابدّ أن نهدأ...

فسكت وقال مباشرةً:

- قبل أن نخطو أيّ خطوة لابدّ أن يعلموا أهلكِ بذلك، ولا نريد في الوقت الحالي أن نفهم كلّ الأشياء، أرامينتا، هل هناك شخصًا من أهلكِ تثقين به بعد أبويكِ؟

بلعت أراميننا بالخطأ العلكة واختنقت في ذلك، فأسرع سند بإعطائها الماء، ثم عادت تتنفس بعد أن خرج الماء من أنفها....

قالت:

- عمي عيسى، هو الذي أثق به بعد أبي وأمي.
- أنا اليوم لن أنام، وسأذهب للعيادة الآن، أريد أن أرتّب ملفًا كاملًا، وفي الصباح الباكر أريدكِ أن تجلبي أبويكِ وعمكِ عيسى إلى مكتبي، هل الكلام واضح؟
- أجل يا سند، أجل، لكن ماذا تنوي فعله؟
- أراميننا، لا تخافي، سأجعل هذا السافل يتعفّن بالسجن، ثقي بالدكتور سند فقط!
- أنا مصدومة!
- وأنا مصدوم أكثر منكِ، لكن إن استسلمنا للصدمات، لن ننجز، وصحيح أنه أعطاكِ مهمات قذرة، لكنّه من هذا اليوم، سيواجه أضخم مهمة يحملها له الدكتور سند برفقة أراميننا، وهي مهمة أن نراه في السجن!

السرّ وراء كنان

وصلوا جميع أهل أرامينتا إلى مكتب الدكتور سند وهم يجهلوا ذلك تمامًا...

أصرّت أرامينتا ألا تخبرهم بشيء قبل أن يسمعوا من فم سند الأحداث جميعها، بل كان ذلك بمثابة وسام ثقة وضعته على عاتق سند!

دخلوا المكتب فقام لهم سند مرحبًا ومدّ يده لفهد وعيسى، فبادلاه الشيء ذاته، ثم قال فهد:

- لماذا نحن هنا اليوم يا دكتور؟ أصرّت أرامينتا ألا تخبرنا بشيء، هل نستطيع أن نفهم؟

استأذنهم سند في أن يجلسوا جميعًا، فجلست أرامينتا متوسطة أمها وأبوها، وجلس عيسى بجانب الدكتور على كرسيّ منفرد...

قال سند دون أيّ مقدمات:

- سأخبركم على أشياء كانت تحدث في منزلكم دون علمكم...

أخذ الجميع يلتفت على بعضه، فقال سند مكملًا ما بدأه:

- منزلكم ما شاء الله ضخم جدًا، وأنتم بحسن نية تضعون الطعام والشراب عند الباب الخلفيّ للمنزل، لكن المشكلة التي لم تُدركوها هو أن هذا الباب يدخل الغرباء مباشرةً إلى درج المنزل الذي يستطيع الغريب أن يصعد درجاته ثم يستقلّ المصعد في وقت نومكم...

قال عيسى بعد أن ثار دمه في بدايته:

- دكتور أدخل في الموضوع ولا تخبرنا بهذه التفاصيل!

نظر الدكتور سند إلى عيسى، وهزّ رأسه قائلًا:

- أنت عيسى صحيح؟

- أجل...

- أبنتك صالحه الصغيرة؟

- أجل!!

- قُل الحمد لله أنها تنعم بعافيتها، ودعني أكمل من فضلك، الموضوع لابدّ أن يكون من البداية، لأنني لا أخطئ التحليل!

انتفض عيسى وقام من كرسيه غاضبًا على الدكتور، وقال:

- ما شأنك بأبنتي أنت!!

أسرعت أراميتا إلى عمها ومسكته من كتفه قائلة:

- عمي، الدكتور سند معنا، أسمع ما سيقول....

جلس عيسى وقال:

- أكمل.

استنشق الدكتور سند الهواء، ثم قال:

- أعلم بأن أمكم رحمها الله صالحه كانت غير طبيعية بعد حادث حصة رحمها الله، وهذا الأمر الذي جعلكم تذهبون بها إلى الدكتور محسن، الذي لازمها إلى أن أخذ الله أمانتها.

قال فهد:

- صحيح...

قال سند:

- هناك خيوط لم أعرفها بعد، لكن هذه المقدمة فقط لأخبركم بأن الذي وراء وهم الأم صالحة، ووهم أراميتا ومعاناتهما في الحياة كان وراءه ذلك القذر الذي يُدعى الدكتور محسن!

قالت مريم صارخة على فهد:

- ألم أخبرك أن قلبي لم يرتاح له!!

فقال فهد وهو مصدوم:

- لحظة يا مريم!

أخبرني يا دكتور كيف عرفت كل هذا؟

أخذ سند يلفّ شاربه مثل كل مرة يفكر فيها، ثم أنزله على فمه وقال:

- أراميتا المسكينة، كانت ستكون ضحية هذا المجرم، لكنها بسبب ذكائها وعدم استسلامها عرفت أن وراء كل شيء محسن!

قالت أراميتا لأمها:

- ماما هل تذكرين عندما كنت في الصف الأول الابتدائي وسقطت المعلمة بحالة إغماء، ثم أتيتِ أنتِ للمدرسة وتحدّثتِ معها بعد أيام؟

حاولت أمها أن تتذكر، ثم قالت:

- حبيبتي لا أذكر ذلك نهائيًا!

- ماما، عندما كنت بالصف الأول، ولم أذهب للمدرسة أيامًا ثم حاولتِ أنتِ أن تفهمين السبب فأخبرتكِ بذلك ثم ذهبتِ أنتِ للمدرسة، تذكري!

حاولت أمها أن تتذكر ثم قالت:

- لم يحدث ذلك شيء...

ثم رأت مريم زوجها فهد، وقالت:

- هل تذكر؟

- لا...

غضبت أرامينتا غضبًا لا يفسّر، ثم رأت عمها عيسى وقالت:

- عمي أتذكر عندما ماتت جدتي أول مرة وصرخت عليها باسم كنان فعاد النبض من جديد إلى قلبها وأُغمي عليَ؟

تعجّب عيسى ثم قال:

- أرامينتا، متى حدث ذلك؟

رأت أبويها وهي ترتجف...

قالت:

- ماما أتذكرين عندما فتحت عيني بعد حالة الإغماء وقلتِ إن جدتي عادت للحياة؟ ثم دخل أبي وهو يتمزّق فرحًا من عودته قلبها للنبض من جديد؟

ألقى أبويها بعيونهما على بعضهما، ثم قالا معًا:

- لم يحدث كل ذلك يا أرامينتا!

أخذت تنحب أرامينتا ببكائها، فقال الدكتور سند:

- كُنتِ تتوهمين تلك المواقف يا أرامينتا، لم يكن لها واقعًا في الحياة.

ثم رأى سند جميع الحضور، وقال:

- لعب الدكتور محسن بعقل الأم صالحة ثم جعل ذلك يتوارث إلى أرامينتا، وأدعى أنه كائن غريب، أقرب إلى أن يكون من الجن، لأنه كان يُعطي الأم صالحه أدوية للوهم، ويعطي أرامينتا بعض الحلوى التي بعد أن عرفت أسمها اكتشفت أنها لا تُصرف للصغار بسبب تركيبتها، كانت الحلوى تشبه الدواء ولكن بأشكال محسّنة لمن لا يقدر أن يبتلع الحبوب...

قال عيسى مقاطعًا الدكتور:

- سأذهب وأقتله!

مسك الدكتور سند عيسى من ثيابه وقال:

- أصبر، لدينا خطة للإمساك به.

- كيف؟ أخبرني الآن وإلا ذهبت لعيادته وفرمت رأسه!

- هو لا زال يدخل على أرامينتا المنزل في الليل، لا أعلم كيف يصطاد الوقت الذي يكون كلّ رواد المنزل نيّام، لكن هذا ما حدث، ولدينا إثباتات على ذلك، عمومًا سنقدّم للمباحث الأدلة قبل أن نجعلكم تسمعون شيئًا، لأنني أعلم لو أنني كنت مكانكم لما تحلّيت بهذا الصبر، فلن تسمعوا شيئًا قبل أن نخطط مع المباحث والشرطة طريقة ألقاء القبض على محسن وهو متلبسًا، لذلك سأطلب منكم الآن طلبًا واحدًا...

قال فهد وقد أخذ منه الانفعال كل مأخذ:

- أطلب.....
- أريد أن تكون عادتكم في المنزل كما كانت، كل واحد فيكم يذهب إلى غرفته باكرًا، وسنذهب أنا وأرامينتا الآن إلى المباحث، كي نضع خطةً واضحةً للقبض.

هاج عيسى واحتدّ مصابه قائلًا:

- متى تتوقع يتم القاء القبض عليه؟

أسند الدكتور سند ظهره على الكرسيّ وهو يلعب بقلم التجسس الصوتي، وقال:

- اليوم.

ما لم يكن متوقعًا.!

أخذ سند القلم وملفّه كاملًا وذهب إلى المباحث برفقة أرامينتا، وجعلوهم يطّلعوا على كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة، والتسجيل الصوتي كان البرهان الأكبر للإطاحة بمحسن، فاندهشوا وتبعثروا في محراب ذلك حتى أصرّ رئيس المباحث العميد «أحمد» أن يباشروا تخطيطهم للقبض على محسن اليوم، وكان ذلك أسعد خبر يطرق باب قلب أرامينتا بعد أن تخلل إليها شعور أن نهاية مأساتها قد أتت، وأن الربيع مهما طال قدومه، قد أتى، فتورّدت في ابتساماتها لسند، وقالت:

- هل سأكون بخير أخيرًا؟

تبسّم لها سند بكل صدق، وقال:

- بإذن الله يا أرامينتا، لن أفرح الآن إلا بعد أن أشاهد فضيحته في التلفاز مثلما جعلني أجنّ عندما رأيتكِ في التلفاز مقتولة!

استدعاهما العميد «أحمد» بعد أن اجتمع مع فريقه على طريقة محاوطة المنزل، ثم قال بعد أن دخلا:

- سأذهب الآن بسيارتي الشخصية، وأحوم حول منزلكِ يا أرامينتا، لكن نريد منكِ أن يمرّ اليوم كسائر الأيام، حتى إن وفّقنا الله وأتى إليكِ محسن اليوم، لا نريدكِ أن ترتعبي أو تخافي، نريدكِ أن تسلكي معه مسلك الكذب وتدّعي الوهم كما كنتِ تشعرين سابقًا معه قبل أن

تكتشفي الحقيقة...

ثم ألتفت إليهما الملازم «عبد اللطيف» وقال:

- اتصلنا على وزير الداخلية وأوصلنا له الكارثة التي وقعت عليكم يا أرامينتا، وقال إنه مستعد أن يسخّر لنا كلّ ما نحتاجه من دعم، لذلك لا تقلقوا أبدًا في هذا الشأن.

***

حاوط الليل السماء وكانت أرامينتا تترقب حضور محسن بعد أن كانت تخاف من وجوده تحت رداء كنان!

هذه المرة بات الأمر مختلف كليًا عن ذي قبل، كانت تتسلّح بسلاح المساندة والدعم، وكانت تنتظر لحظة القبض انتظارًا لم تشهده في حياتها، كأن الفلك يحتضنها من جديد، وبثّت الحياة أنفاسها في الأوردة، وكأن نسمات الصباح غلبت الليل في صدرها، وما لبثت في ذلك الشعور حتى أحسّت بالخطوات تقترب أكثر، فلازمت سريرها كما طُلب منها، وأخذت في لحظتها هذه الشوق على ما سيحدث، وأغمضت عيونها ماكثة أن تحين الساعة...

سمعت صوت الدكتور محسن يقول كأنه كنان:

- أرامينتا، افتحي عيونكِ.

ضرب الخوف مضجعها واستغربت من طلبه الذي لم

يطلبه سابقًا، وأصرّت على إغلاق عيونها، فسمعته يقول:

- أنا علمت أنكِ تعلمين أنني الدكتور محسن، افتحي عيونكِ...

فتحت عيونها كأنها انتفضت من سباتها وأحلامها، فرأته رؤيةً لا غبار فيها وقالت بتأتأة:

- كيف؟؟؟ كيف علمت؟!

ضحك ضحكةً شيطانيةً ثم أخرج سكينًا من جيبه، وقال:

- قبل أن أقتلكِ، سأخبركِ ببعض الأمور...

انهارت أرامينتا والتصقت بلوح السرير، فقال محسن:

- كانت تصرفاتكِ آخر مرة غير طبيعية، لكنني لا أخفي عليكِ أنكِ تغلبتِ عليّ، ورأيت اليوم شيئًا على غير العادة بعد أن شاهدت سيارات واقفة على دائرة المنزل، وعلمت أن اللحظة قد حانت لكي استخدم هذا السكين الذي لازمني في كل مرة آتيكِ فيها...

كانت أرامينتا ترجف من أعلاها إلى أسفلها، وحرّك محسن السكين على طرف السرير، وقال:

- عندما أتتني جدتكِ صالحه أول مرة، كان عليّ نذرًا أن أدمّر هذه العائلة و....

قاطعته أرامينتا بدموعها قائلة:

- لماذا!!!

أخرج محسن الفساد الذي بداخله والغلّ الخنّاس، حين قال:

- أنكسر أبي طوال حياته بسبب جدتكِ!

ثم جلس على الكرسي ومدّ رجله على السرير، وأكمل:

- عندما كنت صغيرًا، كان أبي يتحدث دائمًا عن جدك وجدتكِ، بالرغم من أن جدكِ كان صديقًا له، لكنّ الغريب أن صالحه قبل أن تتزوج كان أبي يريدها بشدّة، لكنها قالت له في يوم التقيا فيه خارج أسوار منزلهما: أنت لا تملك إلا قلبك الذي يحبني، لكن هناك شخصًا تقدّم لي يمتلك كل شيء، وأنا سأوافق عليه بالرغم من أنني أحبك، لكن الحب ليس كل شيء، ولا تقلق يا «سعود» سأصرف عليك من مال زوجي حتى تشعر بالنعيم الذي سأنعم فيه...

أنزل رجليه من السرير، ووضع ذراعيه على ركبتيه وهو يلوّح بالسكين، ثم أكمل قائلًا:

- تملّك قهر الرجال قلب أبي، ثم تزوج من أمي والحرقة لا تزال تعصره، وكان كلما نادته أمي ينادي باسم جدتكِ صالحه...

ثم نهض محسن من مكانه، وقال:

- أخبرني قبل أن يموت وأنا لم أبلغ سنّ الرشد بأن

عائلتكم كان يودّ أن ينتقم منها لولا العلاقة القديمة مع جدكِ، وأنه يكرهكم أشدّ الكره، ويبغضكم كما لو لم يبغض أحدًا من قبلكم...

أخذ محسن يحوم حول أرامينتا، وقال:

- قبل أن يموت، كنت ماسكًا يده، وعاهدته بأن أدمّر كل شخص جعل حياته عبوسة كئيبةً....

أتعلمين ماذا كان رده؟

كانت أرامينتا تسمعه بانهيار بدنها، وقالت:

- ماذا؟

- لم يردّ من ذلك اليوم إلى هذا اليوم، لأنه مات.

أشهقت أرامينتا في نحيبها، وهي تردد:

- كل ما حدث لنا كان انتقام؟ ما ذنبي أنا؟؟

- ذنبكِ أن جدتكِ صالحه.

ثم جلس على الكرسي، بابتسامة لعينة، وأخرج علبة السجائر وأشعل واحدة، ثم أخذ يدخّن بتعالٍ وقال:

- أنا الذي أخبرتها أن تسميكِ أرامينتا لأنني أعلم أن ذلك سيغضب أبوكِ فهد، فهو تقليدي لا يحبّ الحداثة، وكانت المهمة الأولى لأن جدة ليساء كانت تحبّ جدتكِ، وكنت أودّ حقًا أن أبيد كل شيء في الحياة تحبّه صالحه!

قام واقترب من أرامينتا، وقال:

- المهمة الثانية، لأن المدعو سند بات يتباهى بنفسه

ويدّعي أنه الدكتور النفسي الأول في البلاد، وهذا يشكّل خطرًا على مكانتي العالية، فأردّت أن أحطمه كي لا يرتفع...

أخذت تأن أراميتا بأنين المُفارق المودّع بعد أن جلس محسن بجانبها تمامًا، وقال:

- أما بالنسبة لصالحه الصغيرة، فكنت أعلم أنها تعني كل شيء للعائلة، وقتلها سيكون بمثابة مذبحة جماعية لكم جميعًا...

أوه بالمناسبة، الذي قتل جدكِ، ليس بشخص هرب ولم يلحقه عمّك، لا. لا، الذي قتل جدكِ هي جدتكِ صالحه وهي تحت تأثير الوهم والهلوسة.

صرخت أراميتا من هول ما تسمعه صرخةً كأن محسن قد طعنها وهو لم يطعنها بعد، لكنّ تأثير كل ما حدث كان أهون عليها لو أنها ماتت قبل أن تعرف كل شيء!

قال:

- وفي النهاية يا أراميتا، نحن نحيا من أجل عائلتنا، لكن إن ماتت عائلتنا شعوريًا قبل أن تموت جسديًا؟ فمن واجب الأبناء أن ينتصروا لشعور العائلة، أنا اليوم سأدخل السجن، وأبشركِ بأنني لن أكذب وسأخرّ كل شيء، لكن أنتِ، ستموتين الآن وأنتِ محطمة لم تشعري

بالسعادة يومًا من الأيام!

ثم ما لبث يقترب منها كي يقتلها وينتصر لمشاعر أبوه كما يعتقد حتى رأى أن باب الغُرفة يُفتح ويظهر عريض الاكتاف عيسى حاملًا عصاه العريضة التي كان يضرب بها الجماد مُتدربًا، ولم يعطي فرصةً للهزيل محسن بعد أن أخذ يضربه بغضبه واهتياجه حتى سقط محسن أرضًا ومسك عيسى السكين من يد محسن، وغرسها في صدره مرارًا وهو يقول: هذا من أجل أمي وأرامينتا!!

حاول محسن أن يتلفّظ بكلمته الأخيرة لكنّ عيسى وضع يده الملطخة بالدماء بداخل فم محسن وهو يفرك حنجرته قائلًا: والله لو أنك ذهبت إلى السجن المؤبد سيكون غضبي أبديًا لأنني لم أقتلك بيدي التي أقتلك فيها الآن!

سنحيا من جديد
على سماءٍ صافية

بعد أسبوعين كاملين من التحقيق خرج عيسى من السجن منتصرًا لشرفه وعرضه الذي دافع عنهما ببسالة ولم يتوانى في اللحظة الحاسمة أن ينقذ أبنة أخيه من الهلاك، وجدت المحكمة أن ما فعله عيسى لا يندرج تحت أيّ بند من بنود الجريمة، بل ما فعله كان لابدّ عليه فعله في تلك اللحظة.

أما أرامينتا فكابدت أيامها بعد كُلّ الذي سمعته وعاشته مكابدة الضعف والشجن، ودخلت في دوّامة الكآبة القاتلة، لكن سند لم يتخلى عنها ووقف معها إلى أن شعر بأنها بدأت تعود تدريجيًا إلى رونق الحياة ومتطلباتها، ووقف معها في يومهما هذا عند مقهى EMLS أخيرًا بعد أن استطاعت الخروج إلى فضاء الحرية.

قال لها سند وهو ينظر إلى عيونها قبل أن يدخلا إلى المقهى:

- لن أشرب القهوة وحدي، ما دمنا معًا.

أخذها الحياء مآخذ الدنيا ولم تردّ عليه، وكان الصمت الخجول أبلغ من الكلام، فقال سند:

- هل ستكسرين قلبي؟

اتسعت بؤرتيها اتساع العجب، وقالت:

- طبعًا لا!

ضحك واستقرّ في ضحكته حتى عندما دخلا وطلبا

طلبهما المعتاد...

نزع نظارته الطبية، ووضعها على الطاولة، ثم ألقى بعيونه على أرامينتا وقال:

- أريدكِ أن تنظري إلى عيني مباشرةً...

لبثت أرامينتا تحاول النظر لكنّ الاستحياء والخجل وقفا حاجزًا أمام النظرات المباشرة، فقال سند:

- حتى لا تكسري قلبي، أريدكِ زوجةً لي، هل أنتِ موافقة؟

أخذت يديها ووضعتهما على وجهها كاملًا وهي تبتسم دون أن تتوقف عن ذلك، وتتذكر كل الوقفات التي وقفها سند وهي تحتاج من يقف معها، بل أنه كان شامخًا رجلًا تستند عليه في رخائها وشدّتها...

قالت:

- موافقة....

لكنّ الفرحة لم تعصف بقلبها أكثر بعد أن دبّ الخوف جوانبها حين قالت:

- هل كنان رحل للأبد؟

ابتسم لها ابتسامةً لا يحمل خلفها إلا الودّ والحبّ والصدق، وقال:

- كنان رحل للأبد، وسند سيبقى معكِ أبديًا.

"إن لم تكُن هذه أعظم رواية تقرأها،
فلا تقُل عنّي كاتبًا"

تمت

2024 / 9 / 7

يمكنكم الحصول على كل الإصدارات الجديدة
من خلال متجر مكتبة ودار شغف الإلكترونية

DarShghf DarShghf info@DarShghf.com kuwait - Dasman
00965 - 50011077 00965 - 50004030 www.darshghf.com

أعطاني ثلاث مهمات، ووعدني أنه سيكون بجواري أبديًا
كما كان مع جدتـــي.
سقطت معلمتي فور أن ذكرت أسمـه!
وكان يتحدّث معي دائمًا قبل أن أنـام
وكلما حاولت إدراكه وجدّت ظلًا يهرب إلى الممر
ويختفي بعد ذلـك...
لم يكن من الجنّ لأنه أخبرني بذلـك!
-"وصدّقته على كل حـال"-
وبمجرد أن أُتمّ المهمات يظهـر لـي
هذه ليست حكاية من الخيـال
هذا واقع أعيشه لأكثر من عشر سنـوات
أظنّ أنني في النهاية أحببت وجوده
لكنني أتسائل دائمًا: لماذا اختارنـي؟
هذه حقيقتي، أنا أراميـنـتـا.

Mshari_bodraid
Mshari_bodraid
Mshari_bodraid
Bodraid
دار شغف
DARSHGHF
9 789921 791693
ضياء
t.me/twinkling4